بعون الله الخلاق وحسن توفيقه
قد استتب طبع الرسالة العجيبة والتحفة الغريبة المسماة
بكتاب الطهارة في بيان الخلاف والاحكام على
في المطبع العلوي محمد علي بخش خان



بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنا نتوجه إليك ونسعى نحوك ونجاهد نفوسنا في طلبك ونركب الصراط المستقيم الذي نهجته لسالكي مرضاتك فأعنا بقوتك واهدنا بعزتك واعصمنا بقدرتك وبلغنا الدرجة العليا برحمتك والسعادة القصوى بجودك وكرمك فإنك على ما تشاء قدير. غرضنا في هذا الكتاب أن نحصل لأنفسنا خلقاً تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة ويكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة فيها ولا مشقة ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي والطريق إلى ذلك أن نعرف أولاً نفوسنا ما هي وأي شيء هي ولأي شيء أوجدت فينا أعني كمالها وغايتها وما قواها وملكاتها التي إذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها هذه الرتبة العلية وما الأشياء العائقة لنا عنها وما الذي يزكيها فتفلح وما الذي يدسيها فتخيب فإن الله عز وجل يقول ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ولما كان لكل صناعة مبادي عليها تبتني وبها تحصل وكانت تلك المبادي مأخوذة من صناعة أخرى فليس في شيء من هذه الصناعات أن يبين مبادي نفسها كان لنا عذر واضح في ذكر مبادي هذه الصناعة على طريق الإجمال والإشارة بالقول الوجيز وإن لم يكن مما قصدنا له واتباعها بعد ذلك بما توخيناه من إصلاح الخلق الشريف الذي نتشرف به شرفاً ذاتياً حقيقياً لا على طريق العرض الذي لا ثبات له ولا حقيقة أعني المكتسب بالمال والنعيم بالكثرة أو السلطان والمغالبة لا اطلاع والمواضعة فنقول وبالله التوفيق قد تبين أن في الإنسان شيئاً ليس بجسم ولا هو بجزء من جسم ولا هو عرض وأنه لا يحتاج في وجوده إلى قوة جسمية بل هو جوهر بسيط غير محسوس بشيء من الحواس ثم نبين ما معنى ... لنا خلقنا ...

بيان **فنقول** انا لما وجدنا في الانسان شيئاً ما ينافي الاجسام واجزاء الاجسام بحده وخواصه وله افعال تخالف
افعال الجسم وخواصه حتى لا يشاركه في حال من الاحوال وكذلك وجدنا له افعالاً تباين الاعراض وتضادها كانت المباينة ثم
هذه المضادة والمباينة منه للاجسام والاعراض انما هي من حيث هي الاجسام اجساماً والاعراض اعراضاً حكمنا
بان هذا الشيء ليس بجسم ولا بجزء جسم ولا عرض وذلك انه لا يستحيل ولا يتغير وايضاً فانه يدرك جميع الاشياء
بالسوية ولا يلحقه فتور ولا كلال ولا نقص **وبيان** ذلك ان كل جسم له صورة ما فانه ليس يقبل صورة اخرى من
جنس صورته الاولى الا بعد مفارقته الصورة الاولى مفارقة تامة مثال ذلك ان الجسم اذا قبل صورة او شكلاً ما
كالتثليث مثلاً فليس يقبل شكلاً آخر من التربيع والتدوير وغيرهما الا بعد ان يفارقه الشكل الاول وكذلك اذا قبل
صورة نقش او كتابة او اي صورة كانت من الصور فليس يقبل صورة اخرى من ذلك الجنس الا بعد زوال الاولى وبطلانها البتة
فان بقي فيه شيء من رسم الصورة الاولى لم يقبل الصورة الثانية على التمام بل تختلط فيه الصورتان فلا يخلص له
احدهما على التمام ومثال ذلك الشمع اذا قبل صورة نقش في الخاتم لم يقبل غيره من النقوش الا بعد ان يزول عنه رسم
النقش الاول وكذلك الفضة اذا قبلت صورة الخاتم وهذا حكم مستمر في الاجسام كلها ونحن نجد انفسنا تقبل صور
الاشياء كلها على اختلافها من المحسوسات والمعقولات على التمام والكمال من غير مفارقة للاولى ولا معاقبة ولا زوال رسم بل يبقى
الرسم الاول تاماً كاملاً ولا تزال تقبل صورة بعد صورة ابداً دائماً من غير ان تضعف او تقصر في وقت من الاوقات عن قبول ما
يطرأ عليها من الصور بل تزداد بالصورة الاولى قوة على ما يرد عليها من الصور الاخرى وهذه الخاصة مضادة لخواص الاجسام
ولهذه العلة يزداد الانسان فهماً كلما ارتاض وتخرج في العلوم والآداب فليست النفس اذن جسماً فاما انها ليست
عرضاً فيتبين من قبل ان العرض لا يحمل عرضاً لان العرض في نفسه محمول ابداً اي موجود في غيره لا قوام له بذاته وهذا
الجوهر الذي وصفناه هو الحامل لما اتم واكمل من حمل الاجسام للاعراض فاذن النفس ليست جسماً ولا جزء
جسم ولا عرضاً **وايضاً** فان الطول والعرض والعمق الذي به صار الجسم جسماً يحصل في النفس وفي قوتها
الوهمية من غير ان يصير به طويلة او عريضة ولا عميقة بل لا يصير جسماً البتة ولا اذا تصورت ايضاً بكيفيات الجسم
تكيفت بها حتى اذا تصورت الالوان والطعوم لم تتصف بها كما تتصف الاجسام ولا يمنع بعضها قبول اضداده كما يمنع في الجسم
بل تقبلها كلها في حالة واحدة بالسوية وكذلك حالها في المعقولات فانها تزداد بكل معقول يحصل لها قوة على تناول غيره

دائماً ابداً بلا نهاية وهذه حال مقابلة لاحوال الاجسام ومناسبة غاية المناسبة لحالها **وايضاً** فان الجسم وقواها
لا تعرف العلوم الا من الحواس لا تشتاق الا اليها وتشتاقها بالملابسة والمباشرة مثل الشهوات البدنية ومحبة الانتقام
الغلبة وبالجملة كلما يحصل ويصل اليه بالحس فهو يزداد بهذه الاشياء قوة ويستفيد منها تماماً وكمالاً لانها مادية له ومناسبة
فهو يفرح بها ويشتاق اليها من اجل انها تتمم ذاته وتحقق به وتكملها فاما هذا الجوهر الذي سميناه نفساً فانه كلما تباعد من
هذه المعاني البدنية التي ذكرناها وتدلل الى ذاته وتخلى عن الحواس بالقدر الذي يمكن ازداد قوة وتماماً وكمالاً ويظهر له الآراء
الصحيحة والمعقولات البسيطة وهذا اول دليل على انه ليس من طبع الجسم البتة وانه اكرم جوهراً وافضل طباعاً من كل ما
في هذا العالم من الامور الجسمانية **وايضاً** فانه يشتاق الى ما ليس في طباع البدن ويحرص على معرفة حقائق الامور الالهية ويميل الى
الامور التي هي افضل من الامور الجسمية وايثاره له وانصرافه عن الامور واللذات الجسمانية لتحصيل اللذات العقلية يدلنا
دلالة واضحة على انه من جوهر اعلى واكرم جداً من الامور الجسمانية لانه لا يمكن في شيء من الاشياء ان يشتاق الى ما ليس من طبيعته
ولا ان ينصرف عما يكمل ذاته ويقوم جوهره فاذا كان افعال النفس اذا انصرفت الى ذاتها وتركت الحواس مخالفة لافعال البدن
ومضادة لها فلا محالة انها جوهر مفارق لجوهر البدن مخالف له في طبيعته **وايضاً** فان النفس وان كانت
تاخذ كثيراً من مبادى العلوم عن الحواس فلها من نفسها مبادى اخر وافعال لا تاخذها عن الحواس البتة وهي المبادى الشريفة
العالية التي ينبني عليها القياسات الصحيحة وذلك انها اذا حكمت انه ليس بين طرفي النقيض واسطة فانها لم تأخذ هذا
الحكم من شيء آخر لانه اولى ولو اخذته من شيء آخر لم يكن اولى **وايضاً** فان الحواس تدرك المحسوسات فقط واما النفس فتدرك اسباب
الاتفاقات واسباب الاختلافات التي بين المحسوسات وبين معقولاتها التي لا تستعين عليها بشيء من الجسم وكذلك اذا حكمت
على الحس بانه صدق او كذب فليس تأخذ هذا الحكم عن الحس لانه لا يكون مضاداً لنفسه فان هذا العقل لها فينا يصحح كثيراً من اغاليط
الحواس في مباديها التي تم عليها احكامها من ذلك ان البصر يخطئ فيما يراه من قرب ومن بعد اما خطاؤه في البعيد
فما يدركه من الشمس صغيرة مقدارها على عرض قدم وهي مثل الارض كلها مائة ونيفاً وستين مرة فنشهد بذلك البرهان العقلي فنقبله
ونحكم على الحس بما لا نقبله ولما اخطأنا في القريب في منزلة ضوء الشمس اذا وقع علينا من ثقب مربعات صغار
البلور والشبه التي يتخيل بها انه يراه ... منها ما يصل الينا منها مستديراً فيعتقد عليه هذا الحكم وتغلط في ادراك
ونعلم انه ليس كما يراه ويخطئ البصر ايضاً في حركة القمر والسحاب والسفينة والشاطئ ويخطئ في الاشياء التي تحت الماء

ناتيها من ... علمها ... الاشياء التي ... الانسان حتى ...

... الاشياء ... حتى ... الذي ... بعضها ...

... بعضها ... عقلية ...

... الحسية ... في حاسة السمع وحاسة ... وحاسة الشم ... اعني ان حاسة الذوق و

حاسة اللمس ... وما اشبهه وحاسة

... الاشياء ... فالعقل ... القضايا ...

اسبابها ... احكاما ... على ... رتبة من الحكم عليه بالباطل

... فليس ياخذ هذه العلوم من الحس ثم اذا ... ادركت

فليس ... هذه العلوم ... في ذلك ...

فاذن ... العقل وليست تحتاج في ادراك

ذاتها الى شيء آخر ... والعاقل والمعقول شيء واحد ...

... وأما الحواس فلا تعرف ذاتها ... فقد تبين

من هذه الاشياء بيانا واضحا ان النفس ليست بجسم ولا جزء من جسم ولا حال ... شيء آخر مفارق للجسم بجوهره

واحكامه وخواصه وافعاله فنقول ... افعالا ... خاصة بها ...

فضيلتها ... الانسان ... الفضيلة ...

بنفسه ... الاشياء ...

... الاشياء ...

... فان الانسان ... هذه الاشياء

... فضائل ...

... الاشياء ...

...

الاستكثار منها والحرص عليها كالخنزير والكلاب وحيوانات كثيرة من حيوانات الماء وسباع الوحش والطير فما الذي يفضل الانسان
على هذه البهائم والاشياء ولكن لما كانت الاشياء لم تستكثر بها افضل من الانسان وايضا فان الانسان اذا اكثر من طعامه
وشرابه وسائر اللذات البدنية اذا حرص عليه والاستكثار منها لا يستزاد من الفضائل بل ينحط بذلك ويتدنى ويتقبح حتى يتميز
بما يشاكلها الاشياء مع الاستغناء عنها والاكتفاء منها بل يتجاوز ذلك الى حقه وقسمه بل الى تقويمه وتأديبه فينبغي
ان نقدم لما نطلبه من سعادات النفس وفضائلها كلاما يسهل فهم ما نريده **فنقول** ان كل موجود من حيوان ونبات وجماد
كذلك بسائطها اعني النار والهواء والماء والارض وكذلك الاجرام العلوية لها قوى وملكات وافعال بها يتميز فلذلك
الموجود هو ما هو وبها يتميز من كل ما سواه وله ايضا قوى وملكات وافعال لها يشارك ما سواه ولما كان الانسان من بين
الموجودات كلها هو الذي يلتمس له الخلق الحسن والافعال المرضية وجب ان لا ينظر في هذا الوقت في قواه وملكاته وافعاله
التي بها يشارك لسائر الموجودات اذ كان ذلك من حق صناعة اخرى وعلم آخر يسمى العلم **الطبيعي** فاما افعاله وقواه
وملكاته التي يختص بها من حيث هو انسان وبها يتم انسانيته وفضائله فهي الامور الارادية التي يتعلق بها قوة الفكر والتمييز والنظر
يسمى الفلسفة العملية والاشياء الارادية التي ينسب الى الانسان ينقسم الى الخيرات والشرور وذلك ان الغرض المقصود بوجود
الانسان اذا توجه الواحد منا اليه حتى يصل له هو الذي يجب ان يسمى به خيرا او سعيدا واما من عاقته عوائق عنها فهو
الشرير الشقي فان الخيرات هي الامور التي تحصل للانسان بارادته وسعيه من الامور التي لها وجد الانسان ومن اجلها
خلق والشرور هي الامور التي يعوق عن هذه الخيرات بارادته وسعيه او كسله وانصرافه والخيرات قد قسمها الاولون الى
اقسام كثيرة نحن نعددها فيما بعد ان شاء الله **وقد** قدمنا القول ان كل واحد من الموجودات له كمال خاص وفعل
لا يشاركه فيه غيره من حيث هو ذلك الشيء اعني انه لا يجوز ان يكون موجود سواه اصلح لذلك الفعل منه وهذا
حكم يستمر في الامور العلوية والامور السفلية كالشمس وسائر الكواكب وكانواع الحيوان كلها كالفرس والبازي وكالنبات
والمعادن وكالعناصر البسائط التي هي اسطقسات لما بين ذلك بحسب صحة ما قلناه وحكمنا به فاذن الانسان
من بين سائر الموجودات له فعل خاص به لا يشاركه فيه غيره وهو ما صدر عن قوته المميزة المروية فكل من كان تمييزه
اصح ورويته اصدق واختياره افضل كان اكمل في انسانيته وكما ان السيف والمنشار وان صدر عن كل واحد منهما
فعله الخاص بصورته الذي من اجله عمل فافضل السيوف ما كان امضى وانفذ وما كان له اليسير من الاعمال في بلوغ كماله

كمال الذي اعدّ له وكذلك حال الفرس والبازي وسائر الحيوانات لان افضل الافراس ما كان اسرع حركة
واشد تنبها لمطالب الفارس في ملاحظة اللجام وحسن القبول في الحركات وحفظ الاعتدال في النشاط وكذلك الانسان
افضل من كان اقدر على افعاله الخاصة به واشدهم تمسكا بشرائط جوهره الذي يتميز به عن الموجودات فاذا بان بالدليل
الذي لا شبهة فيه انه ينبغي ان نحرص على الخيرات التي هي كمالنا التي من اجلها خلقنا ونجتهد في الوصول اليها بالاتصال
بها ونتجنب الشرور التي تعوقنا عنها وتنقص حظنا منها فان الفرس اذا قصر عن كماله ولم تظهر افعاله الخاصة به على احسن
احوالها حط عن مرتبة الفرسية واستعمل بالاكاف كما يستعمل الحمير وكذلك حال السيف وسائر الالات متى قصرت
ونقصت افعالها الخاصة بها حطت عن مراتبها واستعملت استعمال ما دونها فاما الانسان اذا نقصت افعاله وقصرت
عما خلق له اعني ان تكون افعاله التي تصدر عنه وعن رويته غير كاملة فحري ان يحط عن مرتبة الانسانية الى مرتبة
البهيمية هذا اذا صدرت افعاله الانسانية عنه ناقصة غير تامة فاما اذا صدر عنه ضدها اعني الشرور التي
تكون بالروية الناقصة او العدول بها عن جهتها لاجل الشهوة التي يشارك فيها البهيمة او الاغترار بالامور الحسية التي
تشغله عما عرض له من تزكية نفسه التي يرتقي بها الى الملك الرفيع والى السرور الحقيقي وتوصله الى قرة العين التي قال
الله عز وجل ذكره فيها فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وتبلغه الى جوار رب العالمين في النعيم المقيم واللذات التي
لم ترها عين ولا سمعتها اذن ولا خطر على قلب بشر فخرج عن هذه المواهب السعيدة الشريفة بتلك الخساسات التي
لا ثبات لها فحقيق ما استحق من مقت الله عز وجل وخليق بتعجيل العقوبة له والراحة منه لئلا يفسد العباد والبلاد
منه **واذ** قد تبين ان سعادة كل من يعني من اشخاص الانسان انما هي في صدور افعاله الانسانية عنه
بحسب تمييزه ورويته وان لهذه السعادة مراتب كثيرة بحسب التمييز والروية فيه ولذلك قيل افضل الروية ما كان
افضل مروي فيه ومنه منزلة ضعيفة الى ان ينتهي الى التشوق الى الامور المكنة من العالم الحسي فيكون الناظر في هذه
الاشياء مستعملا رويته والصورة الخاصة به التي من اجلها صار سعيدا اسعدها الملك الابدي والنعيم السرمدي في جنات
دنت لا رجع لها بالحقيقة فقد تبين اذن اجناس السعادة بالجملة واضدادها من الشقاوات واجناسها ان الخيرات
والشرور في الافعال الارادية هي اما باختيار الافضل او المسلوك واما باختيار الادون والميل اليه ولما كانت
هذه الخيرات الانسانية كثيرة وملكاتها التي في النفس كثيرة لم يمكن ان يحاول الانسان القيام بجميعها وجب ان

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والشوق [illegible]

[illegible]

[illegible] متباينة [illegible]

[illegible] فالقوة الناطقة [illegible] تسمى الملكية وآلتها التي تستعملها من البدن الدماغ و

القوة الشهوية [illegible] وآلتها التي تستعملها [illegible] والقوة الغضبية التي تسمى [illegible]

وآلتها التي تستعملها [illegible]

[illegible] حركة النفس الناطقة [illegible]

[illegible] حركة [illegible]

[illegible] فضيلة [illegible]

[illegible] حركة النفس الغضبية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الحكمة [illegible] والشجاعة والعدالة [illegible]

[illegible]

سمي صاحبها بها ومدح عليها واذا اقتصر بها على نفسه لم يسم بها بل خرجت هذه الاسماء اما الجود اذا لم يستعمل سمي
صاحبها منفاقا واما الشجاعة فان صاحبها يسمى لها اتفاقا واما العلم فان صاحبه يسمى مستبصرا وفهما
الجود والشجاعة اذا لم تتعد غير صاحبهما فضيلة تتعداه يحتشم باحدهما ويهاب بالاخر وذلك في الدنيا فقط لانهما
فضيلتان حيوانيتان فاما العلم فان صاحبه اذا لم يتعداه يحتشم في الدنيا والاخرة لانه فضيلة انسانية ملكية
واضداد هذه الفضايل الاربع الرذايل ايضا اربع وهي الجهل والشره والجبن والجور وتحت كل واحد من
هذه الاجناس انواع كثيرة سنذكر منها ما يمكن ذكره فاما اشخاص الانواع فهو بلا نهاية وهي امراض نفسانية
تحدث عنها آلام كثيرة كالخوف والحزن والغضب وانواع العشق الشهواني وضرب من سوء الخلق سنذكر علاجها فيما
بعد ان شاء الله والذي يجب علينا الان تحديد هذه الاشياء اعني الاجناس الاربعة التي تحتوي على جمل الفضايل
فنقول اما الحكمة فهي فضيلة النفس الناطقة المميزة وهي ان تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة
وان شئت فقل ان تعلم الامور الالهية والامور الانسانية ويثمر علمها بذلك ان تعرف المعقولات ايها يجب ان تفعل وايها
يجب ان لا تفعل واما العفة فهي فضيلة الحس الشهواني وظهور هذه الفضيلة في الانسان يكون بان تصرف شهواته بحسب
الراي اعني ان يوافق التمييز الصحيح حتى لا ينقاد لها ويصير بذلك حرا غير متعبد لشيء من شهواته واما الشجاعة
فهي فضيلة النفس الغضبية وتظهر في الانسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة واستعمال ما يوجبه الراي
في الامور الهائلة اعني ان لا يخاف من الامور المفزعة اذا كان فعلها جميلا والصبر عليها محمودا واما
العدالة فهي فضيلة للنفس تحدث لها من اجتماع هذه الفضايل الثلث التي عددناها وذلك
عند مسالمة هذه القوى بعضها لبعض واستسلامها للقوة المميزة حتى لا تتغالب ولا تتحرك نحو مطلوباتها
على سوم طباعها ويحدث للانسان بها هيئة يختار بها ابدا الانصاف من نفسه على نفسه اولا ثم الانصاف
والانتصاف من غيره وسنتكلم على كل واحدة من هذه الفضايل بكلام اوسع من هذا اذا ذكرنا الفضايل
التي تحت كل جنس من هذه الاربع اذ كان غرضنا في هذا الموضع الاشارة اليها بالرسوم التي تجري
ليتصور ما نتعلم والذي ينبغي ان نتبع ما قدمناه ذكر انواع هذه الاجناس وما تحت
كل واحد منها اما الاقسام التي تحت الحكمة فهي هذه الذكاء الذكر والتعقل سرعة الفهم

قوته صفاء الذهن سهولة التعلم وبهذه الاشياء يكون لحسن الاستعداد للحكمة **فاما** الوقوف على جواهر هذه الاقسام يكون من حدودها وذلك ان العلم بالحد وبه يفهم جواهر الاشياء المطلوبة التي تحدّ انما على حالة واحدة وهو العلم البرهاني الذي لا يتغير ولا يدخله الشك بوجه من الوجوه والفضايل التي بذواتها فضايل ليس يكون في حال من الاحوال غير فضايل وكذلك العلوم بها **اما** الذكا فهو سرعة انقداح النتايج وسهولتها على النفس **واما** الذكر فهو ثبات صور ما يخلصه العقل والوهم من الامور **واما** التعقل فهو موافقة بحث النفس عن الاشياء الموضوعة بقدر ما هي عليه **واما** صفاء الذهن فهو استعداد النفس لاستخراج المطلوب **واما** جودة الذهن وقوته فهو تامل النفس لما قد لزم من المقدم **واما** سهولة التعلم فهي قوة للنفس وحدة للفهم بها تدرك الامور النظرية **الفضايل** التي تحت العفة الحياء الدعة الصبر السخاء الحرية القناعة الديانة الانتظام حسن الهدي المسالمة الوقار الورع **اما** الحياء فهو انحصار النفس خوف اتيان القبايح والحذر من الذم والسب الصادق **واما** الدعة فهي سكون النفس عند حركة الشهوة **واما** الصبر فهو مقاومة النفس للهوى لئلا ينقاد لقبايح اللذات **واما** السخاء فهو التوسط في الاعطاء والاخذ وهو ان ينفق الاموال فيما ينبغي بمقدار ما ينبغي وعلى ما ينبغي وتحت السخا خاصة انواع كثيرة نحن نحصيها في ما بعد لكثرة الحاجة اليها **واما** الحرية فهي فضيلة للنفس بها تكتسب المال من وجهه وتعطي في وجهه وتمنع اكتساب المال من غير وجهه **واما القناعة** فهي التساهل في الماكل والمشارب والزينة **واما** الديانة فهي حسن انقياد النفس للجميل وتسرعها الى الجميل **واما** الانتظام فهو حال النفس يقودها الى حسن تقدير الامور وترتيبها كما ينبغي **واما** حسن الهدي فهو محبة تكميل النفس بالزينة الحسنة **واما** المسالمة فهي موادعة تحصل للنفس عن ملكة لا اضطراب فيها **واما** الوقار فهو سكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب **واما** الورع فهو لزوم الاعمال الجميلة التي فيها كمال النفس **الفضايل** التي تحت الشجاعة كبر النفس النجدة عظم الهمة الثبات الصبر الحلم عدم الطيش الشهامة احتمال الكد الفرق بين هذا الصبر وبين الذي في العفة ان هذا يكون في الامور الهائلة وذاك يكون في الشهوات الهائجة **اما** كبر النفس فهو الاستهانة باليسار والاقتدار على حمل الكرامة والهوان فصاحبه ابدا يوهل نفسه للامور العظام مع استحقاقه لها **واما** النجدة فهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع **واما** عظم الهمة فهي فضيلة للنفس يحتمل بها سعادة الجد وضدها حتى الشدائد التي تكون عند الموت **واما** الثبات والصبر فهو فضيلة

ن يقوى بها احتمال الالام ومقاومتها فى الاحوال الخاصة واما الحلم فهو فضيلة للنفس تكسبها الطمانينة
ون شغبة ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة واما السكون الذى نعنى به عدم الطيش فهو اما عند الخصومات
ا فى الحروب التى تذب بها عن الحريم او عن الشريعة وهو قوة للنفس تقسر حركتها فى هذه الاحوال لشدتها واما الشهامة
لحرص على الاعمال العظام ترقبا للاحدوثة الجميلة واما احتمال الكد فهو قوة للنفس تستعمل آلات البدن فى
ى الحسنة بالتمرين وحسن العادة **الفضائل التى تحت السخاء** الكرم الايثار النبل المواساة السماحة
ماحة اما الكرم فهو انفاق المال الكثير بسهولة من النفس فى الامور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغى وباقى الشروط
كرناها فى السخاء واما الايثار فهو فضيلة للنفس بها يكف الانسان عن بعض حاجاته التى تخصه حتى يبذله
ستحقه واما النبل فهو سرور النفس بالافعال العظام وابتهاجها بلزوم هذه السيرة واما المواساة فهى
اونة الاصدقاء والمستحقين ومشاركتهم فى الاموال والاقوات واما السماحة فهى بذل بعض ما لا يجب
ما المسامحة فهى ترك بعض ما يجب والجميع يكون بالارادة والاختيار **الفضائل التى تحت العدالة**
داقة الالفة صلة الرحم المكافاة حسن الشركة حسن القضاء التودد العبادة اما الصداقة فهى محبة صادقة يهتم
ها بجميع اسباب الصديق وايثار فعل الخيرات التى يمكن فعلها به واما الالفة فهى اتفاق الاراء والتحدث
التواصل فيعتقد معها التضافر على تدبير العيش واما صلة الرحم فهى مشاركة ذوى اللحمة فى الخيرات التى تكون فى
الدنيا واما المكافاة فهى مقابلة الاحسان بمثله او بزيادة عليه واما حسن الشركة فهو الاخذ والعطاء فى
المعاملات على الاعتدال الموافق للجميع واما حسن القضاء فهو مجازاة بلا من ولا ندم واما
دد فهو طلب مودات الاكفاء واهل الفضل بحسن اللقاء والاعمال التى تستدعى المحبة منهم واما
بادة فهى تعظيم الله عز وجل وتمجيده وطاعته واكرام اوليائه من الملائكة والانبياء والائمة والعمل بما توجبه
ريعة وتقوى الله عز وجل تكمل هذه الاشياء وتتمها واذ قد اقتصصنا الفضائل الاولى واقسامها وذكرنا
لعها واجزاءها فقد عرفت الرذائل التى تضاد الفضائل لانه يفهم من كل واحدة من تلك
ما يقابلها لان العلم بالاضداد واحد ولما كانت هذه الفضائل اوساطا بين الطرفين وتلك
الطراف هى الرذائل وجب ان يفهم منها وان استعملنا الرمان ذكرناها الان وجود اسمائها فى هذا

الوقت متعدل وينبغي ان يفهم من قولنا ان كل فضيلة فهي وسط بين رذايل ما انا واصف لك اذ الارض اذا كانت على غاية البعد من السماء قيل انها وسط وبالجملة للمركز من الدائرة هو على غاية البعد من المحيط واذا كان الشئ على غاية البعد من شئ اخر فهو من هذه الجهة على القطر فعلى هذا الوجه ينبغي ان يفهم معنى الوسط من الفضيلة اذ كانت بين رذايل بعدها منها اقصى البعد ولهذا اذا انحرفت الفضيلة عن موضعها الخاص بها ادنى انحراف قربت من رذيلة ولم تسلم من العيب بحسب قربها من تلك الرذيلة التي تميل اليها ولهذا صعب جدا وجود هذا الوسط ثم التمسك به بعد وجوده اصعب ولذلك قالت الحكماء ان اصابة نقطة الهدف اعسر من العدول عنها ولزوم الصواب بعد ذلك حتى لا يخطيها اعسر واصعب وذلك ان الاطراف التي تسمى رذايل من الافعال والاحوال والازمان وسائر الجهات كثيرة جدا ولذلك دواعي الشر اكثر من دواعي الخير ويجب ان يطلب اوساط تلك الاطراف بحسب انسان انسان فاما ما يجب علينا نحن فهو ان نذكر جمل الاوساط وقوانينها بحسب ما يليق بالصناعة لا على ما يجب على شخص شخص فان هذا غير ممكن فان النجار والبناء وسائر ارباب الصناعات انما يحصل في نفوسهم قوانين واصول فيعرف النجار صنعة الباب والسرير والصائغ يعرف صنعة الخاتم والتاج على الاطلاق فاما اشخاص ما قام في نفسه فانما يستخرجها بتلك القوانين ولا يمكنه تعرف الاشخاص لانها بلا نهاية وذلك ان كل باب وخاتم انما يعمل بمقدار ما ينبغي وعلى قدر الحاجة وبحسب المادة والصناعة لا تتضمن الا معرفة الاصول فقط **واذ** قد ذكرنا معنى الوسط في الاخلاق وما ينبغي ان يفهم منه فلنذكر هذه الاوساط ليفهم منها الاطراف التي هي رذايل **فنقول** وبالله التوفيق **واما** الحكمة فهي وسط بين السفه والبله واعني بالسفه ههنا استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي وكما لا ينبغي وسماه القوم الجربزة واعني بالبله تعطيل هذه القوة واطراحها وليس ينبغي ان يفهم ان البله ههنا نقصان الخلقة بل ما ذكرته من تعطيل القوة الفكرية بالارادة **واما** الذكاء فهو وسط بين الخب والبلادة فان المتطرفين في كل وسط فهو افراط والاخر تفريط اعني الزيادة عليه والنقصان منه فالخب والدها والحيل الردية هي كلها الى جانب الزيادة مما ينبغي ان يكون الذكاء فيه **واما** البلادة والبله والعجز عن ادراك المعارف فهي كلها الى جانب النقصان من الذكاء **واما** الذكر فهو وسط بين النسيان الذي يكون باهمال ما ينبغي ان يحفظ وبين

بين العناية بما لا ينبغي أن يحفظ وأما التعقل فهو حسن التصور فهو وسط بين الذهاب بالنظر في الشيء أبعد من
الى اكثر مما هو عليه وبين التقصير بالنظر عما هو عليه وأما سرعة الفهم فهو وسط بين اختطاف خيال الشيء من غير
احكام لفهمه وبين الابطاء عن حقيقته وأما صفاء الذهن فهو وسط بين كدورة في النفس تأخرها عن
استخراج المطلوب وبين التهاب يعرض فيها فيمنعها من استخراج المطلوب وأما جودة الذهن وقوته فهو
وسط بين الافراط في التأمل لما يلزم من المقدم حتى يخرج عنه الى غيره وبين التفريط فيه حتى يقصر عنه
وأما سهولة التعلم فهو وسط بين المبادرة اليه بسلاسة لا يثبت معه صورة العلم وبين التصعب عليه
وتعذره وأما العفة فهو وسط بين رذيلتين هما الشره وخمود الشهوة وأعني بالشره الانهماك في اللذات
والخروج عنها عما ينبغي وأعني بخمود الشهوة السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة الجميلة التي يحتاج
اليها البدن في ضروراته وما رخص فيه الشريعة والعقل وأما الفضائل التي تحت العفة فان الحياء
وسط بين رذيلتين احدهما الوقاحة والاخرى الخرق ونبه على أن تلحظ اطراف الفضائل الاخر التي هي رذائل وربما
وجد لها اسماء بحسب اللغة وربما لم نجد لها اسماء وليس يعسر عليك فهم معانيها والسلوك فيها على السبيل التي
سلكناها وأما الشجاعة فهي وسط بين رذيلتين احدهما الجبن والاخرى التهور أما الجبن فهو الخوف
مما لا ينبغي أن يخاف منه واما التهور فهو الاقدام على ما لا ينبغي أن يقدم عليه اما السخاء فهو وسط
بين رذيلتين احدهما الشره والتبذير والاخرى البخل والتقتير اما التبذير فهو بذل ما لا ينبغي
لمن لا يستحق واما التقتير فهو منع ما ينبغي عمن يستحق وأما العدالة فهو وسط بين الظلم والا
نظلام أما الظلم فهو التوصل الى كثرة المقتنيات من حيث لا ينبغي وكما لا ينبغي واما الانظلام فهو
الاستخذاء والاستكانة في المقتنيات لمن لا ينبغي وكما لا ينبغي ولذلك يكون ابدا للجائر اموال كثيرة
لانه يتوصل اليها من حيث لا يجب ووجوه التوصل اليها كثيرة واما المنظلم فمقتنياته واموا له
يسيرة جدا لانه تركها من حيث يجب واما العادل فهو وسط بينهما لانه يقتني الاموال من حيث يجب
ويتركها من حيث لا يجب فالعدالة فضيلة ينصف بها الانسان من نفسه ومن غيره من غير أن يعطي نفسه من النافع أكثر وغيره
أقل فاما في الضار فبالعكس وهو أن يعطي نفسه أقل وغيره أكثر لكن يستعمل المساواة التي هي تناسب ما بين الاشياء

ومن هذا المعنى اشتق اسمها اعنى العدل واما الجائر فهو ان يطلب لنفسه الزيادة من النافع ولغيره النقصان منه واما في الاشياء الضارة فهو يطلب لنفسه النقصان ولغيره الزيادة منها فقد ذكرنا الاخلاق التى هى خيرات وفضائل و اطرافها التى هى شرور ورذائل على طريق الاجمال وحددنا ما يحتاج منها وبينا ما يتم به ونشرح كل واحد منها على سبيل الاستقصاء فيما بعد ان شاء الله وينبغى ان نخص فى هذا الموضع شيئا يحتاج طالب هذه الفضائل **فنقول**

انا قد بينا فيما تقدم ان الانسان من بين جميع الحيوان لا يكتفى بنفسه فى تكميل ذاته ولا بد له من معاونة قوم كثيرى العدد حتى يتم حياته طيبة ويجرى امره على السداد ولهذا قال الحكماء ان الانسان مدنى بالطبع اى هو محتاج الى مدينة فيها خلق كثير ليتم له السعادة الانسانية فكل انسان بالطبع وبالضرورة يحتاج الى غيره من ذلك مضطر الى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة ومحبتهم المحبة الصادقة لانهم يكملون ذاته ويتممون انسانيته وهو ايضا يفعل بهم مثل ذلك فاذا كان كذلك بالطبع وبالضرورة فكيف يؤثر الانسان العاقل العارف بنفسه التفرد والتخلى ويتعاطى ما يرى الفضيلة من غيره فاذن القوم الذين راوا الفضيلة فى الزهد وترك مخالطة الناس و تفردوا عنهم اما بملازمة المغارات فى الجبال واما ببناء الصوامع فى المفاوز واما بالسياحة فى البلدان لا يحصل لهم شىء من الفضائل الانسانية التى عددناها وذلك ان من لم يخالط الناس ويساكنهم فى المدن لا يظهر فيهم العفة ولا النجدة ولا السخاء ولا العدالة بل تصير قواهم وملكاتهم التى ركبت فيهم باطلة لانها لا تتوجه لا الى خير ولا الى شر فاذا بطلت ولم يظهر افعالها الخاصة بها صاروا بمنزلة الجمادات والموتى من الناس وذلك انهم يظنون ويظن بهم انهم اعفاء وليسوا بأعفاء وانهم عدول وليسوا بعدول وكذلك فى سائر الفضائل اعنى انه اذا لم يظهر منهم اضداد هذه التى هى شرور ظن بهم الناس انهم افاضل وليست الفضائل اعداما بل هى افعال واعمال يظهر عند مشاركة الناس ومساكنتهم فى المعاملات وضروب الاجتماعات ونحن انما نعلم ونتعلم الفضائل الانسانية التى نساكن بها الناس و نخالطهم لنصل منها وبها الى سعادات اخر اذا صرنا الى حال اخرى وتلك الحال غير موجودة لنا الآن تمت

المقالة الاولى من كتاب تهذيب الاخلاق

الخلق حال للنفس داعية لها الى افعالها من غير فكر ولا روية وهذه الحال تنقسم قسمين منها ما يكون طبيعيا من اصل المزاج كالانسان الذى يحركه ادنى شىء نحو غضب ويهيج من اقل سبب وكالانسان الذى يجبن من ايسر شىء وكالذى يفزع من صوت

صوت يطرق سمعه أو يرتاع من خبر يسمعه وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من أدنى شيء يعجبه وكالذي يغتم ويحزن من
أيسر شيء يناله ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولا فأولا
حتى يصير ملكة وخلقا ولهذا اختلف القدماء في الخلق فقال بعضهم الخلق خاص بالنفس غير الناطقة وقال بعضهم
قد يكون للنفس الناطقة فيه حظ ثم اختلف الناس اختلافا ثانيا فقال بعضهم من كان له خلق طبيعي لم ينتقل عنه و
قال آخرون ليس شيء من الأخلاق طبيعيا للإنسان ولا غير طبيعي وذلك أنا مطبوعون على قبول الخلق وإنا ننتقل
بالتأديب والوعظ إما سريعا وإما بطيئا وهذا الرأي الأخير هو الذي نختاره لأنا نشاهده عيانا ولأن الرأي
الأول يؤدي إلى إبطال قوة التمييز والعقل وإلى رفض السياسات كلها وترك الناس همجا مهملين وإلى ترك الأحداث والصبيان
على ما يتفق أن يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم وهذا ظاهر الشناعة جدا وأما الرواقيون فظنوا أن الناس كلهم يخلقون
أخيارا بالطبع ثم يصيرون بعد أشرارا بمجالسة أهل الشر وبالميل إلى الشهوات الردية التي لا تقمع بالتأديب فينهمكون
فيها ثم يتوصل إليها من كل وجه ولا يفكر في الحسن منها والقبيح وأما قوم آخرون كانوا قبل هؤلاء فظنوا أن الناس خلقوا
من الطينة السفلى وهي كدر العالم فهم لأجل ذلك أشرار بالطبع وإنما يصيرون أخيارا بالتأديب والتعليم إلا أن
فيهم من هو في غاية الشر ويمكن أن ينتقل من الشر إلى الخير بالتأديب من الصبى ثم بمجالسة الأخيار وأهل الفضل فأما
جالينوس فإنه رأى أن الناس فيهم من هو خير بالطبع وفيهم من هو شرير بالطبع وفيهم من هو متوسط بين هذين ثم أفسد
المذهبين الأولين اللذين ذكرناهما أما الأول فبأن قال إن الناس إن كانوا أخيارا بالطبع وإنما ينتقلون إلى الشر بالتعليم فمن الضرورة
أن يكون تعلمهم الشر إما من أنفسهم وإما من غيرهم فإن تعلموا من غيرهم فالمعلمون الذين علموهم الشر هم أشرار بالطبع
فليس الناس إذن كلهم أخيارا بالطبع وإن كانوا تعلموا من أنفسهم فإما أن يكون فيهم قوة يشتاقون بها إلى الشر فقط فهم إذن أشرار
بالطبع وإما أن يكون فيهم مع هذه القوة التي تشتاق إلى الشر قوة أخرى تشتاق إلى الخير إلا أن القوة التي تشتاق إلى الشر غالبة هي
من التي تشتاق إلى الخير وعلى هذا يكونون أيضا أشرارا بالطبع وأما الرأي الثاني فإنه أفسده بمثل هذه الحجة وذلك أنه قال
إن كان كل الناس أشرارا بالطبع فإما أن يكونوا تعلموا الخير من غيرهم أو من أنفسهم ويعيد الكلام الأول بعينه ولما أفسد هذين
المذهبين صحح رأي نفسه من الأمور البينة الظاهرة وذلك أنه ظاهر جدا أن الناس منهم خير بالطبع وهم قليلون وليس
ينتقل هؤلاء إلى الشر ومنهم من هو شرير بالطبع وهم كثيرون وليس ينتقل هؤلاء إلى الخير ومنهم من هو متوسط

بين هذه وهؤلاء قد ينتقلون بمصاحبة الاخيار ومواعظ اهل الخير وقد ينتقلون بمقارنة اهل الشر
اعوائهم الى الشر واما ارسطاطاليس فقد بين في كتاب الاخلاق وفي كتاب المقولات ان الشرير قد ينتقل
بالتاديب الى الخير ولكن ليس على الاطلاق لانه يرى ان تكرير المواعظ والتاديب واخذ الناس بالسياسة الجيدة الفاضلة
لا بد ان يوثر ضروب التاثير في ضروب الناس فمنهم من يقبل التاديب ويتحرك الى الفضيلة بسرعة ومنهم
من يقبله ويتحرك الى الفضيلة بابطاء ونحن نؤلف من ذلك قياسا وهو هذا كل خلق فقد يمكن تغييره ولا شيء
مما يمكن تغييره هو بالطبع فاذا ولا خلق واحد بالطبع والمقدمتان صحيحتان والقياس منتج في الضرب الثاني من الشكل
الاول اما تصحيح المقدمة الاولى وهي ان كل خلق يمكن تغييره فقد تكلمنا عليه واوضحناه وبيناه وهو بين من العيان ومما
استدللنا من وجوب التاديب ونفعه وتاثيره في الاحداث والصبيان ومن الشرائع الصادقة التي هي سياسة الله
عز وجل لخلقه واما تصحيح المقدمة الثانية وهي انه ولا شيء مما يمكن تغييره هو بالطبع فهو ظاهر ايضا وذلك انا لا نروم
تغيير شيء مما هو بالطبع ابدا فان احدا لا يروم ان تغيير حركة النار التي الى فوق بان يعودها الحركة الى اسفل ولا
يعود الحجر حركة العلو يروم بذلك ان يغير حركته الطبيعية التي هي الى اسفل ولو رامه ما صح له ابدا تغير شيء من هذا ولا
مما يجري مجراها اعني الامور التي هي بالطبع فقد صحت المقدمتان وصح التاليف في الشكل الاول وهو الضرب الثاني
منه وصار برهانا **فاما** مراتب الناس في قبول هذا الادب الذي سميناه خلقا والمسارعة الى قبوله والحرص عليه فانها
كثيرة وهي تشاهد وتعاين فيهم وخاصة في الاطفال فان اخلاقهم يظهر فيهم مثل مبداء نشوهم ولا يسترونها بروية
ولا فكر كما يفعله الرجل التام الذي انتهى في نشوه وكماله الى حيث يعرف من نفسه ما يستقبح فيخفيه بضروب الحيل
والافعال المضادة لما في طبعه وانت تتامل من خلق الصبيان واستعدادهم لقبول الادب او نفورهم عنه وما يظهر
في بعضهم من القحة وفي بعضهم من الحياء وكذلك ما ترى فيهم من الجود والبخل والرحمة والقسوة والحسد وضده من
الاحوال المتفاوتة ما يعرف به مراتب الانسان في قبول الاخلاق الفاضلة ويعلم معه انهم ليسوا على رتبة واحدة
وان منهم المواتي والممتنع والسهل السلس والفظ العسر والخير والشرير والمتوسطين بين هذه الاطراف في مراتب لا تحصى كثيرة
واذا اهملت الطباع ولم ترض بالتاديب والتقويم نشا كل انسان على سوء طباعه وبقي عمره كله على الحال
التي كان عليها في الطفولية وتبع ما وافقه بالطبع اما الغضب واما اللذة واما الاعارة واما الشره وغير ذلك

ذلك من الطباع المذمومة والشريعة هي التي تقوّم الاحداث وتعوّدهم الافعال المرضية وتعدّ نفوسهم لقبول الحكمة
وطلب الفضايل والبلوغ الى السعادة الانسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم وعلى الوالدين اخذهم بها
وبساير الآداب الجميلة بضروب السياسات من الضرب ان احتيج اليه والتوبيخات ان اقنعت فيهم او الاطماع في الكرامات
او غيرها مما يميلون اليه من الراحات او يحذرونه من العقوبات حتى اذا تعوّدوا ذلك واستمروا عليه مدة
من الزمان كثيرة طويلة امكن فيهم حينئذ ان يعلموا براهين ما اخذوه تقليدا وينبهوا على طرق اكتساب الفضايل
واكتسابها والبلوغ الى غاياتها بهذه الصناعة التي نحن بسبيلها والله الموفق والمعين وهو حسبنا وللانسان
في ترتيب هذه الآداب وسياقتها اولا اولا الى الكمال الاخير طريق طبيعي يتشبه فيها بفعل الطبيعة وهو ان ينظر
الى هذه القوى التي تحدث فينا ايها اسبق الينا وجودا فيبدا بتقويمها ثم بما يليها على النظام الطبيعي وهو بيّن ظاهر
وذلك انا اول ما نحدث فيما هو الشيء العام للحيوان والنبات كله ثم لا نزال نختص بشيء يسير يميزنا عن نوع نوع
الى ان نصير الى الانسانية فلذلك يجب ان نبدا بالشوق الذي يحصل فينا اولا فنقومه ثم بالشوق الذي يحصل فينا
الى الغضب ومحبة الكرامة فنقومه ثم بآخره الشوق الذي فينا الى المعارف والعلوم فنقومه وهذا الترتيب الذي قلنا
انه طبيعي انما حكمنا فيه بذلك لما يظهر فينا منذ اول نشوئنا اعني منذ ان نكون اولا اجنة ثم اطفالا ثم ناشئين
تحدث فينا هذه القوى مرتبة فاما ان هذه الصناعة هي افضل الصناعات كلها اعني صناعة الاخلاق التي تعنى
بتجويد افعال الانسان بما هو انسان فتبين مما اقول لما كان الجوهر الانساني ذا فعل خاص لا يشاركه فيه شيء من موجودات
العالم كما بيناه فيما تقدم وكان الانسان اشرف موجودات عالمنا ثم لم يصدر عنه افعاله بحسب جوهره كان شبيها
بالفرس ذي الصهيل تصدر عنه افعال الفرس على التمام كمكان الحمار بالاكاف مكان الغزو بالشرف وكان
ارذل منزلة من وجوده وجب ان يكون الصناعة التي تعنى بتجويد افعال الانسان حتى تصدر عنه افعاله كلها تامة كاملة بحسب
جوهره وترفعه عن رتبة الاخس التي يستحق بها المقت من الله عز وجل والمصير الى العذاب الاليم اشرف الصناعات
واكرمها واما ساير الصناعات الاخر فان مرتبتها من الشرف بحسب مرتبة جوهر الشيء الذي تستصلحه وهذا ظاهر جدا في
الصناعات لان منها الدباغة التي تعنى باستصلاح جلود البهايم الميتة ومنها صناعة الطب التي تعنى باستصلاح الجواهر
الكريمة وكذلك الصناعات المتفاوتة التي يتصرف بعضها الى العلوم الدنية وبعضها الى العلوم الشريفة واذا كانت

الموجودات متفاوتة في الشرف من الجماد والنبات والحيوان فان الحيوان اكرم من النبات والجماد والحيوانات اذا قيس الى جوهر
الانسان واما في الجوهر من الموجودات الاخر فاما من اراد ان يحسبها فالصناعة والمهن التي يصرف اليها اشرفها اشرف
من الصناعات والهمم التي تصرف الى الادون منها ليجب ان نعلم ان اسم الانسان وان كان يقع على افضلهم وعلى
ادونهم فان بين هذين الطرفين اكثر مما بين كل متضادين من البعد وان الشاعر الذي قال ~ ولم ار امثال
الرجال تفاوتت * الى المجد حتى عد الف بواحد * وان كان عنده قد بالغ فانه قصر والخبر المروي عن النبي صلى الله
عليه واله وسلم اني وزنت بامتي فرجحت بهم اصدق واوضح وليس هذا في الانسان وحده بل في كثير من الجواهر كما
وان كان في الانسان اكثر واشد تفاوتا فان بين السيف المعروف بالصمصام وبين السيف المعروف بالكهام
تفاوتا عظيما وكذلك الحال في التفاوت الذي بين الفرس الكريم وبين البرذون المقرف فمن امكنه
ان يرتقي بالصناعة من ادون هذه الجواهر مرتبة الى اعلاها فاشرف به وبصناعته ما اكرم واكرمها فالانسان
من بين هذه الجواهر هو مستعد لضروب من الاستعدادات بضروب من المقامات فليس ينبغي ان يكون الطمع في
استصلاحه على مرتبة واحدة وهذا شيء يتبين فيما بعد ان شاء الله الا ان الذي ينبغي ان نعلمه الان ان وجود الجوهر
الانساني متعلق بقدرة فاعله وخالقه تبارك وتقدس ذكره فاما تجويد جوهره فمفوض الى الانسان وهو معلق
بارادته فاعرف هذه الجملة الى ان نفصل في موضعها ان شاء الله تعالى **وقد** تقدمنا في صدر هذا الكتاب فقلنا انه ينبغي
ان نعرف نفوسنا ما هي ولاي شيء هي ثم قلنا ان لكل جوهر موجود كمالا خاصا به وفعلا لا يشاركه فيه غيره من حيث
هو ذلك الشيء وبينا ذلك غاية البيان في الرسالة المسعدة **واذا** كان ذلك محفوظا فنحن مضطرون الى ان
نعرف الكمال بالانسان والفعل الذي لا يشاركه فيه غيره من حيث هو انسان لنحرص على طلبه وتحصيله ونجتهد
في البلوغ الى غايته ونهايته ولما كان الانسان مركبا لم يجز ان يكون كماله وفعله الخاص من كمال بسائطه وافعال الطبيعة
بها والا كان وجود المركب باطلا كالحال في ... فالفعل الخاص من حيث هو مركب انسان لا يشاركه فيه
شيء من الموجودات الاخر يحصل للناس اقدرهم على اظهار فعله الخاص كان هو اصله من غير تعب فيه ولا اخلال به وقت
دون وقت فهذا تعرف الافضل فقد عرف الانقص على اعتبار الضد فكمال الخاص بالانسان كمالان وذلك لان له
قوتين احداهما العالمة والاخرى العاملة فلذلك يشتاق باحدى القوتين الى المعارف والعلوم ويشتاق بالاخرى

بالاخرى الى نظم الامور وترتيبها وهذان الكمالان هما اللذان نص عليهما الفلاسفة فقالوا الفلسفة تنقسم الى الجزء النظرى
والى الجزء العملى فاذا كمل الانسان بالجزء النظرى والجزء العملى فقد سعد السعادة التامة اما كماله الاول باحدى قوتيه اعنى
العالمة وهى التى يشتاق بها الى العلم فهو ان يصير فى العلم بحيث يصدق نظره ويصح بصيرته ويستقيم رويته ولا يغلط فى
اعتقاد ولا يشك فى حقيقة وينتهى فى العلم بالامور الموجودة على الترتيب الى العلم الالهى الذى هو اخر رتبة العلوم ويثق
ويسكن اليه ويطمئن قلبه ويذهب حيرته وينجلى له المطلوب الاخير حتى يتحد به وهذا الكمال قد بينا الطرق اليه واوضحناه
فى كتب اخر واما الكمال الثانى الذى يكون له بالقوة الاخرى اعنى القوة العاملة فهو الذى نقصده فى كتابنا هذا وهو الكمال
الخلقى ومبداه من ترتيب قواه وافعاله الخاصة بها حتى لا تتغالب وحتى يتسالم هذه القوى فيه وتصدر افعاله
بحسب قوته المميزة منتظمة مرتبة كما ينبغى وينتهى الى التدبير المدنى الذى يرتب فيه الافعال والقوى بين الناس
حتى ينتظم ذلك الانتظام ويسعدوا سعادة مشتركة كما كان ذلك فى الشخص الواحد فان الكمال الاول
النظرى منزلته منزلة الصورة والكمال الذى الثانى العملى منزلته منزلة المادة وليس يتم احدهما الا بالاخر لان
العلم مبدأ والعمل تمام والمبدأ بلا تمام يكون ضايعا والتمام بلا مبدأ يكون مستحيلا وهذا الكمال هو الذى سميناه غرضا
وذلك ان الغرض والكمال بالذات هما شئ واحد انما يختلفان بالاضافة فاذا نظر اليه وهو بعد فى نفس الانسان
لم يخرج الى الفعل فهو غرض واذا خرج الى الفعل وتم فهو كمال وكذلك الحال فى كل شئ لان البيت اذا كان مصورا
للبانى وكان عالما باجزائه وتركيبه وسائر احواله كان غرضا فاذا خرج الى الفعل وتم كان كمالا فقد صح جميع ما
قدمناه ان الانسان يصير الى كماله ويصدر عنه فعله الخاص اذا علم الموجودات كلها اى يعلم كلياتها وحدودها
التى هى ذواتها لا اعراضها وجزئياتها التى يصيرها بلا نهاية فانك اذا علمت كليات الموجودات فقد علمت جزئياتها
بنحو ما لان الجزئيات لا تخرج عن كلياتها فاذا اكملت هذا الكمال فتممه بالفعل المنظوم ورتب القوى والملكات التى
فيك ترتيبا علميا كما سبق على ان هذا انتهيت الى هذه الرتبة فقد صرت عالما وحدك واستحققت ان تسمى
عالما صغيرا لان صورة الموجودات كلها قد حصلت فى ذاتك فصرت انت هى بنحو ما ونظمتها بافعالك على نحو نظامها
فصرت فيها خليفة لمولاك الخالق فلم تخطئ فيها ولم تخرج عن نظامه الاول الحكمى فتصير حينئذ عالما تاما بالتمام
من الموجودات هو التام الوجود والعالم التام الوجود هو الباقى بقاء سرمديا فلا يفوتك حينئذ شئ من النعيم المقيم

لانه بهذا الكمال مستعد لقبول الفيض من المولى تعالى دائما ابدا وقد قربت منه القرب الذي لا يحول ان
يحول بينك وبينه حجاب فهذه هي الرتبة العليا والسعادة القصوى فلولا ان في الاشخاص الواحدات من الناس
من يمكنه تحصيل هذه المنزلة في ذاته وتكميل غيره بها او اتمام نقصانه بالترقي اليها لكان سبيله سبيل الحيوانات
الاخر وكسبيل اشخاص النبات في مصيرها الى الفناء بالاستحالات التي تلحقها والنقصانات التي لا سبيل الى تمامها
لا اتصال فيه بالبقاء الابدي والنعيم السرمدي بمجاورة رب العالمين في دخول جنته ومن لا يتصور هذه الحالة ولا ينبه عليها من سعى
في العلم يقع له شكوك فيظن ان الانسان اذا انتقض تركيبه الجسماني بطل وتلاشى كالحال في الحيوانات والنبات ويستوي
الحالان فيخرج عن سنة الحكمة وسنة الشريعة وقد ظن قوم ان كمال الانسان وغايته هي في اللذات الحسية وانها هي
الخير المطلوب والسعادة القصوى فظنوا ان جميع قواه الاخر انما ركبت فيه من اجل هذه اللذات والتوصل اليها وان النفس
الشريفة التي سميناها ناطقة انما وهبت له ليرتب الافعال ويميزها ثم توجهها نحو هذه اللذات ليكون الغاية الاخيرة هي
حصولها له على النهاية والغاية فظنوا ان قوى النفس الناطقة اعني التذكر والحفظ والروية كلها تراد لتلك الغاية
قالوا وذلك ان الانسان اذا تذكر اللذة التي كانت حصلت له بالمطاعم والمشارب والمناكح اشتاق اليها واحب معاودتها فقد صارت
منفعة الذكر والحفظ انما هي للذة وتحصيلها ولاجل هذه الظنون التي وقعت لهم جعلوا النفس المميزة الشريفة كالعبد الممتهن و
كالاجير المستعمل في خدمة النفس الاخرى الشهوية يصرفها في المآكل والمشارب والمناكح وترتيبها لها وتعديل اعمالها كاملا موافقا
وهذا هو رأي العامة من الطغام الرعاع وجهال الناس السقاط والى هذه الخيرات التي جعلوها غاياتهم يتشوقون عند ذكر الجنة والقرب
من ربهم عز وجل وهي التي يسألونها من الرب تعالى في دعواتهم وصلواتهم فاذا اشتغلوا بالعبادات وتركوا الدنيا وزهدوا فيها فانما
هم على جهة المتاجرة والمرابحة في هذه بعينها كانهم تركوا قليلها ليصلوا الى كثيرها واعرضوا عن الفانيات ليبلغوا
الباقيات الا انك تجدهم مع هذا الاعتقاد وهذه الافعال اذا ذكر عندهم الملائكة والخلق الاعلى الاشرف وما نزههم الله
عنه من هذه اللذات واعلموا بالجملة انهم اقرب الى الله عز وجل واعلى رتبة من الناس لانهم غير محتاجين الى شيء من حاجات
البشر يعلمون ان خالقهم وخالق كل شيء تعالى الله تولى بلوغ الكمال منزه عن هذه الاشياء متعال عنها
موصوف بالقدرة والتمتع مع التمكن بما تعانيه الفعلة وانه لا يتبلغ ذلك ثم ان في هذه اللذات الخنافس والديدان وصغار الحشرات
والمهمل من الحيوان بان ما بيننا وبين الملائكة بالعقل والتميز ثم جمعوا بين هذه الاعتقادات والاعتقاد الاول لم يحسنوا في ذلك

ذلك انهم يرون عيانا ضرراتهم بالاذى الذي يلحقهم بالجوع والعري وضروب المتعبات وعلاجاتهم وتوليتها
بما يدفعها عنهم فاذا زالت آثارها وعادوا الى حال السلامة منها التذوا بذلك ووجدوا للراحة لذة ولا
يشعرون انهم اذا اشتاقوا الى لذة الاكل فقد اشتاقوا اولا الى الم الجوع وذلك انهم ان لم يتألموا بالجوع لم يلتذوا
بالاكل وهكذا الحال في سائر اللذات الاخر الا ان هذه الحال في بعضها اظهر منها في بعض وسنتكلم على ان طبيعة الجسم
واحدة وان اللذات كلها انما يحصل للملتذ بعد الام تلحقه وان كل لذة حسية انما هي خلاص من الاذى
في غير هذا الموضع ومستظهر عنه ذلك ان من رضي لنفسه بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غايته واقصى
سعادته فقد رضي باخس العبودية لاخس الموالي لانه تصير نفسه الكريمة التي بها يناسب الملائكة عبدا للنفس الدنية
التي بها يناسب الخنازير والخنافس وخسائس الحيوانات التي تشاركه في هذه الحال وقد تعجب جالينوس في كتابه الذي
في الاخلاق والنفس من هذا الرأي وكثرة استجهاله القوم الذين هذه مرتبتهم من العقل الا انه قال ان هؤلاء الجهال
سيرتهم اسوء سيرة وارداها اذا وجدوا انسانا هذا رأيه ومذهبه نصروه وتولوه ودعوا اليه هم وابدا لذلك انهم
متفردين بهذه الطريقة لانهم يظنون انهم متى وصفوا اهل الفضل والنبل من الناس بمثل ما هو عليه كان ذلك عذرا لهم
تموبها على قوم اخرين في مثل طريقتهم وهؤلاء هم الذين يفسقون الاحداث بما يهونون الفضيلة هي ما تدعوهم اليه طبيعة
البدن من الملاذ وان تلك الفضائل الاخر الملكية اما ان يكون باطلة ليست بشيء البتة واما ان يكون غير ممكنة لاحد
من الناس الا من يكون بالطبع للجسد الى شهوات فيكثر اتباعهم بقول الفضلاء فيهم واذا نبه الواحد بعد الواحد
منهم على ان هذه اللذات انما هي لضرورة الجسد وان بدنه مركب من الطباع المتضادة اعني الحرارة والبرودة والرطوبة
واليبوسة وانه انما يعالج بالمأكل والمشارب مرضا يحدث ابدا بهذه الانحلال فيحفظ تركيبه به على حالة واحدة ما امكن
فيه وان علاج المرض ليس بسعادة تامة والراحة من الالم ليست بغاية مطلوبة ولا خير محض وان السعيد التام
هو من لا يعرض له مرض البتة وعرف مع ذلك ان الملائكة الابرار الذين اصطفاهم الله لقربه لا يلحقهم هذه
الالام فلا يحتاجون الى العلاج بالاكل والشرب وان الله تعالى منزه متعال عن هذه الاوصاف فضلا عما رضوه بان بعض
البشر اشرف من الملائكة وان الله اجل من ان يذكر مع الخلق وشاغبوا وسفهوا رأيه واو قعوا شبها باطلة
يتشكك في صحة ما تبين عليها وان شك عقل اليه العلل التي لا ينقضي معها من رأيهم هذا اذا وجدوا واحدا من الناس

مقتدر على تعذيبهم التي يميلون اليها واستهانت بالمتع واللذة وطعام وطيب واقتصر على نبات الارض خاصة وكثير منهم
الى الملوك الرتب العظيمة وزعموا انه صفي الله ووليه وانه شبيه بالملك وانه ارفع طبقة من البشر فيخضعون له ويذلون
غاية الذل ويعدون انفسهم اشقياء بالاضافة اليه والسبب في ذلك هو انهم وان كانوا من اهل الرأي ومقامهم على
ما يجب فان فيهم من آثار القوة الاخرى الكريمة المميزة وان كانت ضعيفة ما يريهم فضيلة ذوي الفضائل فيضطرون
الى اكرامهم وتعظيمهم واذا كانت القوى ثلاثا كما مثلنا ادناها النفس البهيمية واوسطها النفس السبعية واشرفها
النفس الناطقة والانسان انما صار انسانا بافضل هذه النفوس اعني الناطقة وبها شارك الملائكة وبها باين البهائم
ثم اشرف الناس من كان حظه من هذه النفس اكثر واشبه الى البهائم من غلبت عليه احدى النفسين الاخريين انحط عن
مرتبة الانسانية بحسب غلبة تلك النفس عليه فانظر اين تضع نفسك واين تحب ان تنزل من المنازل التي
رتبها الله للموجودات فان هذا امر موكول اليك مردود الى اختيارك فان شئت فانزل في منازل البهائم فانك تكون
منهم وان شئت فانزل في منازل السباع وان شئت ففي منازل الملائكة وكن منهم وفي كل واحد من هذه المنازل
مقامات كثيرة فان بعض البهائم اشرف من بعض وذلك لقبول التاديب لان الفرس انما شرف على الحمار لقبوله الادب
وكذلك البازي في فضله على الغراب واذا تاملت الحيوانات كلها وجدت القابل للتاديب الذي هو اثر النطق اعني النفس الناطقة
افضل من سائرها وهو يتدرج في ذلك الى ان يصل الى الحيوان الذي هو في افق الانسان اعني الذي هو اكمل البهائم وهو في اخس مرتبة
الانسانية وذلك ان اخس الناس من كان قليل العقل قريبا من البهيمة وهم القوم الذين في اقاصي الارض المعمورة وسكان
ناحية الجنوب والشمال لا يتفضلون على القرود الا بشيء يسير من التمييز وبذلك القدر يستحقون اسم الانسانية ثم يتزايدون
ويتزايد ذلك في هذا المعنى حتى يبلغوا الى وسط الاقاليم والبلدان فيحصل المزاج القابل لصورة العقل فيكون فيهم العاقل التام
والمميز العالم ويتفاضلون ايضا في هذا المعنى الى ان يصيروا الى غاية ما يمكن الانسان ان يبلغ اليه من قوة العقل و
النطق فيصير حينئذ في الافق الذي بين الانسان والملك ويصير فيهم القابل للوحي والمطيق لحمل الحكمة فيفيض عليهم
انوار العقل ويسبح اليه نور الحق ولا محالة الانسان اجل من هذه ما دام انسانا فاذا رجع القهقرى الى النظر في الرتب
الناقصة التي هي ادون مراتب الانسانية فانك تجد القوم الذين يضعف فيهم القوة الناطقة وهم القوم الذين
ذكرنا انهم في افق البهائم يقوى فيهم النفس البهيمية فيميلون الى شهواتها الدنية والملابس كالماكول والمشروب والملبوس

وسائر الشهوات البهيمية الشبهية بها واحق من الذين تجذبهم الشهوات القوية فتعودهم البهيمية حين يرتكبوها
لا يرون على انفسهم ويقدرون ما يكون عليهم من القوة العاقلة يستحيون منها حتى يستتروا بالبيوت ويتواروا في الظلم اذ هم باللذة
يخصهم هذا الحياء منها هو الدليل على قبحها فان الجميل بالاطلاق هو الشيء الذي يتظاهر به ويستحب اخراجه واذاعته
وهذا القبح ليس لشيء من النقصانات اللازمة للبشر وهم يشتاقون الى ازالتها فانهما امر تقصيها وانقصها احوجها الى
الستر والاخفاء ولو سئلت القوم الذين يعظمون امر اللذة ويجعلونها الخير المطلوب والغاية الانسانية لم تكونون
الوصول الى اعظم الخيرات عندكم وما بالكم تقصدون مواقعتها خفية بالتستر وتفاوتون من سترها وكتمانها فضيلة
ومروة وانسانية والمجاهرة بها واظهارها بين اهل الفضل وفي مجامع الناس خساسة وقحة يظهر من انقطاعهم
وتبدلهم في الجواب ما تعلمون سوء مذهبهم وخبث سيرتهم واقل حظهم من الانسانية اذا رأى انسانا فاضلا محتشما
ووقره ولحب ان يكون مثله لا انسانا منهم الذي يبلغ من خساسة الطبع وزارة الانسانية وقباحة الوجه
الى ان يقيم على نقصها هو عليه من غير محبة لرتبة من هو افضل منه فاذا يجب على العاقل الى ان يعرف ما ابتلى به
الانسان من هذه النقصانات التي في جسمه وحاجاته الضرورية الى ازالتها ويحملها اما بالغذاء الذي يحفظ اعتدال
مزاجه ويقيم حياته فينال منه قدر الضرورة في كماله ولا يطلب اللذة لعينها بل تقوم الحركة التي تبطل اللذة فان تجاوز
ذلك قليلا فبقدر ما يحفظ رتبته في مرتبته ولا ينسب الى الدناءة في العمل بحسب حاله ورتبته بين الناس واما باللباس الذي
يدفع اذى الحر والبرد ويستر العورة فان تجاوز ذلك فبقدر ما لا يستحق ولا ينسب الى الشح على نفسه الى ان يسقط بين
اقرانه واهل طبقته واما بالجماع الذي يحفظ نوعه ويبقى به صورته اعني طلب النسل فان تجاوز ذلك فبقدر ما لا يخرج
به عن السنة ولا يتعدى ما يملكه الى ما يملك غيره وليطلب الفضيلة في نفسه العاقلة التي بها صار انسانا وينظر
الى النقصانات التي في هذه النفس خاصة فيروم تكميلها بطاقته وجهده فان هذه الخيرات هي التي لا تسترد
اذا وصل اليها ولا يستحي منها بالحياء ولا يتوارى عنها بالحيطان والظلمات ويتظاهر بها بين الناس وفي المحافل
وهي التي يكون بها بعض الناس افضل من بعض وبعضهم اكثر انسانية من بعض وليغذو هذه النفس بغذائها الموافق
لها المتمم لنقصاناتها كما يغذو تلك باغذيتها الملائمة لها فان غذاء هذه هو العلم والزيادة في المعقولات والتحقق
بالصدق في الاراء وقبول الحق حيث كان ومع من كان والنفور من الباطل والكذب كيف كان وممن ابرحاه

فمن اتفق له في الصبا ان يربى على ادب الشريعة ويؤخذ بوظائفها وشروطها حتى يتعودها ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق
حتى تتأكد تلك الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان
ولا يسكن الا اليهما ثم يتدرج كما رسمناه في كتابنا المسمى بترتيب السعادات ومنازل العلوم حتى يبلغ الى اقصى
مرتبة الانسان فهو السعيد الكامل فليكثر حمد الله عز وجل على الموهبة العظيمة والمنة الجسيمة ومن لم يتفق له ذلك
في صباه ونشوه ثم ابتلي بان رباه والده على رواية الشعر الفاحش وقبول اكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح
ونيل اللذات كما يوجد في شعر امرئ القيس والنابغة واشباههما ثم صار بعد ذلك الى رؤساء يقربونه على روايتها وقول
مثلها ويجزلون له العطية وافضى باقران يساعدونه على تناول اللذات الجسمية ومال بطبعه الى استكثار المطاعم
والمشارب والمراكب والزينة وارتباط الخيل الفرهة والعبيد المزوقة كما اتفق مثل ذلك في بعض الاوقات ثم انهمك فيها
واشتغل بها عن السعادة التي اهل لها فليعلم ان جميع ذلك شقاء لا نعيم وخسران لا ربح وليجتهد على التدريج الى فطام
نفسه منها وما اصعب ذلك الا انه صالح على حال خير من التمادي في الباطل وليعلم الناظر في هذا الكتاب اني خاصة قد
تدرجت الى فطام نفسي بعد الكبر واستحكام العادة وجاهدت جهادا عظيما وارضيت لك ايها الفاحص عن الفضائل والطالب
للادب الحقيقي بما رضيت لنفسي بل تجاوزت في النصيحة لك الى ان اسفت عليك بما فاتني في ابتداء امري لتدارك انت
ذلك وتلحق على طريق النجاة قبل ان ترسب في مغاوز الضلالة وقبل ان تغرق سفينتك في بحر الهلاك فالله ينفعكم معاشر
الاخوان والاولاد ويستعملكم الحق وتأدبوا بالادب الحقيقي المذكور وتحققوا الحكمة البالغة وانتهجوا الصراط المستقيم وتفقدوا
حالات نفسكم وتذكروا قواها واعلموا ان اجودها مثل ضرب لكم من انفسكم الثلاث التي ذكرتها في المقالة الاولى مثل ثلاث حيوانات مختلفة
جمعت في رباط واحد ملك وسبع وخنزير فايها غلب بقوته قوة الباقيين كان الحكم له وليعلم من تصور هذا المثل ان النفس الملكية
هي فيه جوهر وكل فيها شيء يتقوى بالجسم ولا قوام لها كما بيناه في صدر الكتاب كان اتحادها وانفصالها ليس كاتحاد الاجسام واتصال
بعضها ببعض وذلك ان هذه الانفس الثلاث اذا اتصلت صارت شيئا واحدا ومع انها تكون شيئا واحدا فهي باقية التغاير لقوى تتفرد
الواحدة بعد الواحدة حتى كانها لم تتصل بالاخرى ولم تتحد بها وتتشوق ايضا الواحدة الى الاخرى حتى كانها غير موجودة ولا
قوة ينفرد بها وذلك ان اتحادها ليس بان تتصل نهاياتها ولا بان تتلاقى سطوحها كما يكون ذلك في الاجسام
بل يصير في بعض الاحوال شيئا واحدا وفي بعض الاحوال اشياء مختلفة بحسب ما يهيج قوة بعضها او تسكن وقد قال

قال قوم ان النفس واحدة ولها قوى وقال آخرون بل هي واحدة بالذات كثيرة بالموضوع وهذا شيء يخرج الكلام
فيه عن غرض الكتاب وسيمر بك في موضعه ويتبين لك وفي هذا الوقت ان تعتقد اي الآراء شئت بعد ان تعلم ان بعض هذه
كريمة اديبة بالطبع وبعضها بهيمية عادمة للادب لا انها تقبل التاديب وتنقاد فالتي هي اديبة **اما الكريمة الاديبة**
بالطبع فالنفس الناطقة **واما العادمة** للادب وهي مع ذلك غير قابلة له فهي النفس البهيمية **واما** التي
عدمت الادب ولكنها تقبله وتنقاد له فهي النفس الغضبية وانما وهب الله لنا هذه النفس خاصة لنستعين بها على تقويم
البهيمية التي لا تقبل الادب وقد شبهت القدماء الانسان وحاله في هذه الانفس الثلاث بانسان راكب بهيمة قوية وبيده كلب
او فهد للقنص فان كان الانسان من بينهم هو الذي يروض دابته وكلبه يصرفهما ويطيعانه في سيره وتصيده وسائر
متصرفاته فلا شك في رغد العيش المشترك بين الثلاثة وحسن احوالهم لان الانسان يكون مريحا في مطلبه ومجري
فرسه حيث وكما يجب ويطلق كلبه ايضا لذلك واذا نزل واستراح اراحهما معه ويحسن القيام عليهما وازاحة علتهما
في المطعم والمشرب وكفاية الاعداء في غير ذلك من مصالحهما واذا كانت البهيمية هي الغالبة ساءت حال الثلثة كلهم
وكان الانسان ضعيفا عندها فلم يطع فارسها وعتت فان رأت عشبا من بعيد عدت نحوه وتعسفت في عدوها
وعدلت عن الطريق النهج فاعترضها الاودية والوهاد والشوك والشجر فتقحمتها وتورطت فيها وتحول فارسها
والحو مثله في هذه الاحوال فيصيبها جميعا من انواع المكاره والاشراف على الهلكة ما لا خفاء به وكذلك ان
قوي الكلب ولم يطع صاحبه فاذا رأى من بعيد صيدا اخذ نحوه فجذب الفرس وفارسه ولحق الجميع من الضرر والضر اضعاف ما ذكرناه
وفي تصور هذا المثل الذي ضربه القدماء ما ينبه على حال هذه النفوس بعضها عند بعض ودلالة على ما وهب الله عز وجل
للانسان ومن به عليه وعرضه له حتى لا يضيعه بعصيان خالقه تعالى فيها عند اهمال سياستها وتأنيثه امرها بين القوتين اللتين في بعده
عنهما وهما اللذان يتبعانه ويأمره عليهما **فمن** اسوء حالا ممن اهمل سياسة الله وضيع نعمته عليه وترك هذه القوى
فيه هائجة مضطربة تتغالب وصار الرئيس مرؤوسا والملك فيها مستعبدا نعوذ بالله من الانتكاس في الخلق الذي
سببه طاعة الشياطين والانتباع للاراء السيئة فلينسب الانسان بها الى غير هذه القوى التي وصفناها ووصفنا
احوالها ونسأل الله عصمته ومعونته على تهذيب هذه النفوس حتى ننتهي فيها الى الطاعة التي هي مصالحنا ونجاتنا
وخلاصنا الى الفوز الاكبر والنعيم السرمد **فقد** علمنا الآن ان النفس العاقلة اذا عرفت شرف نفسها وحسنت

مرتبتها من الله عز وجل احسنت خلافته فى ترتيب هذه القوى وسياستها بحسب القوة التى اعطاها افضل عطايا
الله وكرامته ومنزلتها من العلو والشرف ولم يخضع للسبع ولا للبهيمة بل يقوم النفس الغضبية التى سميناها سبعية
وتقويمها الى الادب يحملها على حسن طاعتها ويستنهضها فى وقت هيجان النفس البهيمية وحركتها الى الشهوات حتى تقمع
بقوة سلطانها تلك ويستخدمها فى تأديبها بان يستعين بقوة هذه على تأديب تلك وذلك ان هذه النفس الغضبية قابلة
للادب قوية على قمع الاخرى كما قلنا وتلك النفس البهيمية عادمة للادب غير قابلة له فاما النفس الناطقة اعنى
العاقلة فهى كما قال افلاطون بهذه الالفاظ اما هذه فبمنزلة الذهب فى اللين والانعطاف واما تلك فبمنزلة الحديد
فى الصلابة والامتناع فان آثرت الفعل الجميل فى وقت مجاذبتك القوة الاخرى الى اللذة والى خلاف ما آثرت فاستعن
بقوة الغضب التى تثور وتهيج بالانفة والحمية وانهض بها النفس البهيمية فان غلبتك مع ذلك وتزيدت وانهمكت فى
طريق الصلاح فاعلم عز نفسك واحذر ان تعاودك بالطبع فيك والغلبة لك فان تفعل ذلك ولم تكن العقوبة فى الغلبة
لك كنت كما قال الحكيم الاول انى ارى اكثر الناس يدعون محبة الافعال الجميلة ثم لا يحتملون المؤنة فيها على علمهم بفضلها
فيغلبهم الرقة ومحبة البطالة فلا يكون بينهم وبين من لا يحب الجميل فرق اذا لم يحتملوا مؤنة الصبر ويصبروا الى ان يتعلموا اثره ويعرفوا
فضله واذكر مثل البئر الذى تردى فيه البصير والاعمى فيكونان فى الهلكة سواء الا ان الاعمى معذور ومن يصل من هذه الآداب
الى مرتبة يعتد بها ان يكتسب بها الفضائل التى عددناها فقد وجب عليه تأديب غيره وافاضة ما اعطاه الله على ابناء جنسه

فصل فى تأديب الاحداث والصبيان نقلت اكثره من كتاب بروسن فقد قلنا فيما تقدم ان اول قوة تظهر فى الانسان
اول ما يكون هى القوة التى يشتاق بها الى الغذاء الذى هو سبب كونه حيا فيتحرك بالطبع الى اللبن ويلتمسه من الثدى
الذى هو معدنه من غير تعليم ولا توقيف ويحدث له مع ذلك قوة على التماسه بالصوت الذى هو مادته ودليله
الذى يدل به على اللذة والاذى ثم تتزيد فيه هذه القوة ويشتاق بها الى الازدياد والتصرف بها فى انواع الشهوات
فيحدث فيه على التحرك نحوها بالآلات التى تخلق له ثم يحدث له الشوق الى الافعال التى يصل بها الى هذه ثم يحدث
له من الحواس قوة على تخيل الامور ويرتسم فى قوته الخيالية مثالات فيشتاق اليها فيظهر فيه قوة الغضب التى يشتاق بها
الى دفع ما يؤذيه ومقاومة ما يمنعه من منافعه فان اطاق بنفسه ان ينتصر ممن آذاه انتصر منه والا التمس من غيره واستعصم
بالابوين بالتصويت والبكاء ثم يحدث له الشوق الى تمييز الافعال الانسانية خاصة اولا اولا حتى يصير الى كماله فيها

هذا التمييز فيصح حينئذ ما قلناه وهذه القوى كثيرة وبعضها ضرورية في وجود الأخرى الى ان تنتهي الى الغاية الاخيرة وهي التي لا يراد لغاية اخرى وهو الخير المطلق الذي يتشوقه الانسان من حيث هو انسان فاول ما يحدث فيه من هذه القوى الحياء وهو الخوف من ظهور شيء قبيح منه ولذلك قلنا اول ما ينبغي ان يتفرس في الصبي ويستدل به على عقله الحياء فانه يدل على انه قد احس بالقبيح ومع احساسه به هو يحذره ويتجنبه ويخاف ان يظهر منه او فيه فاذا نظرت الى الصبي فوجدته مستحييا مطرقا بطرفه الى الارض غير وقاح الوجه ولا محدق اليك فهو اول دليل على نجابته والشاهد لك على ان نفسه قد احست بالجميل والقبيح فان حياءه هو انحصار نفسه خوفا من قبيح يظهر منه وهذا ليس بشيء اكثر من ايثار الجميل والهرب من القبيح بالتمييز والعقل وهذه النفس مستعدة للتاديب صالحة للعناية لا ينبغي ان يهمل ولا يترك ومخالطة الاضداد الذين يفسدون بالمقارنة والمداخلة

ومن كان بهذه الحال من استعداد لقبول الفضيلة فيحقر عنده قدر الطعام الذي يستطعمه اهل الشره ويقبح عنده صورة من شره اليه ونال منه فوق حاجة بدنه او ما لا يوافقه حتى يقتصر على لون واحد ولا يرغب في الالوان الكثيرة واذا جلس مع غيره ولا يبادر الى الطعام ولا يديم النظر الى الوانه ولا يحدق اليه شديدا ويقتصر على ما يليه ولا يسرع في الاكل ولا يوالي بين اللقم بسرعة ولا يعظم اللقم ولا يبلعها حتى يجيد مضغها ولا يلطخ يده ولا ثوبه ولا يلحظ من يواكله ولا يتتبع بنظره مواقع يده من الطعام ويعود ان يؤثر غيره مما يليه ان كان افضل مما عنده ويضبط شهوته حتى يقتصر على ادنى الطعام وادونه وليأكل الخبز القفار الذي لا ادم معه في بعض الاوقات وهذه الآداب وان كانت جميلة بالفقراء فهي اجمل بالاغنياء وينبغي ان يستوفي غذاءه بالعشي فانه ان استوفاه بالنهار كسل واحتاج الى النوم وتبلد فهمه مع ذلك وان منع اللحم في اكثر اوقاته كان نافعا بالحركة والتيقظ وقلة البلادة وبعثه على النشاط والخفة فاما الحلواء والفاكهة فينبغي ان يمتنع منها البتة ان امكن والا فليتناول اقل ما يمكن فانها تستحيل في بدنه فتكثر انحلاله ويعود مع ذلك الشره ومحبة الاستكثار من المآكل ويعود ان لا يشرب في خلال طعامه الماء فاما النبيذ واصناف الاشربة المسكرة فاياه واياها فانها تضره في بدنه ونفسه وتحمله على سرعة الغضب والتهور والاقدام على القبائح والقحة وسائر الخلال المذمومة ولا ينبغي ان يحضر مجالس اهل النبيذ الا ان يكون اهل المجلس ادباء فضلاء فاما غيرهم فلا لئلا يسمع الكلام القبيح والسخافات التي تجري فيه وينبغي ان لا يأكل حتى يفرغ من وظائف الادب التي

شغلها و يتعب كافيا و ينبغي ان يمنع من كل فعل يستره و يخفيه فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح و
يمنع من النوم الكثير فانه يفخمه و يغلظ ذهنه و يميت خاطره هذا بالليل فاما بالنهار فلا ينبغي ان يتعود النوم و
يمنع ايضا الفراش الوطي و جميع انواع الترفه و التنعم حتى تصلب اعضاؤه و يتعود الخشونة و لا يتعود الخيش و الاسراب و لا
الاوثار و المنيران في الشتاء للاسباب التي ذكرناها و يعود المشي و الحركة و الركوب و الرياضة حتى لا يتعود اصلا
و يعود ان لا يكشف اطرافه و لا يسرع في مشيه و لا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره و لا يربي شعره و لا يزين بملابس
النساء و لا يلبس خاتما الا وقت حاجته اليه و لا يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والده و لا بشيء من ماكله و ملابسه و ما يجري مجراها
بل يتواضع لكل واحد و يكرم كل من عاشره و لا يتوصل بشيء ان كان له او سلطان من اهله ان نفق له
الى غضب من هو دونه او استهزاء من لا يمكنه ان يرده عن هواه او تطاول عليه كمن اتفق له ان كان خاله وزيرا او
سلطانا فتطرق به الى هضيمة اقرانه و تلونه و اسباب الحق الى جيرانه و معارفه و ينبغي ان يعود ان لا يبزق في
مجلسه و لا يتمخط و لا يتثاءب بحضرة غيره و لا يضع رجلا على رجل و لا يضرب تحت ذقنه بساعده و لا يعمد راسه بيده فان هذا
دليل الكسل و انه قد بلغ به التعب الى ان لا يحمل راسه حتى يستعين بيده و يعود ان لا يكذب و لا يحلف البتة لا صادقا
و لا كاذبا فان هذا قبيح بالرجال مع الحاجة اليه في بعض الاوقات فاما الصبي فلا حاجة به الى اليمين و يعود ايضا الصمت
و قلة الكلام و ان لا يتكلم الا جوابا و اذا حضر من هو اكبر منه اشتغل بالاستماع منه و الصمت له و يمنع من خبيث الكلام
و من هجينه و من السب و اللعن و لغو الكلام و يعود حسن الكلام و ظريفه و جميل اللقاء و كريمه و لا يرخص له ان يستمع اصلا
من غيرها و يعود خدمة نفسه و معلمه و كل من كان اكبر منه و يحوج الصبيان الى هذه الاداب لا سيما الاغنياء و المترفين و ينبغي اذا
ضربه المعلم ان لا يصرخ و لا يستشفع باحد فان هذا فعل المماليك و من هو خوار ضعيف و لا يعير احدا
الا بالقبيح و الشيء من الاداب و يعود ان يبر الصبيان و ان يكافيهم على الجميل باكثر منه لئلا يتعود الربح على الصبيان
و على الصديق و يبغض اليه الفضة و الذهب و يحذر منهما اكثر من تحذير السباع و الحيات و العقارب و الافاعي
فان افة حب الفضة و الذهب اكثر من افة السموم و ينبغي ان يؤذن له في بعض الاوقات ان يلعب لعبا جميلا
يستريح اليه من تعب الادب و لا يكون في لعبه اثم و لا تعب شديد و يعود طاعة والديه و معلمه و مؤدبه و ان
ينظر اليهم بعين الجلالة و التعظيم و يهابهم فان هذه الاداب نافعة لهم في الكبار من الناس ايضا نافعة و لكنها

لكنها للاحداث انفع لانها تعودهم محبة الفضائل وينشأون عليها ولا يثقل عليهم تجنب الرذائل ويسهل عليهم
بعد ذلك جميع ما ترسمه الحكمة وتحده الشريعة والسنة ويعتادون ضبط النفس عما تدعوهم اليه من اللذات القبيحة
ويكفهم عن الانهماك في شئ منها والفكر الكثير فيها ويسوقهم الى مرتبة الفلسفة العالية ويرقيهم الى معالي الامور التي
وصفناها في اول الكتاب من التقرب الى الله عز وجل ومجاورة الملائكة مع حسن الحال في الدنيا وطيب العيش
وجميل الاحدوثة وقلة الاعداء وكثرة المداح والراغبين في مودته من الفضلاء خاصة فاذا تجاوز هذه الدرجة
وبلغ امامه الى ان يفهم اغراض الناس وعواقب الامور فهم ان الغرض الاخير من هذه الاشياء التي يقصدها
الناس ويحرصون عليها من الثروة واقتناء الضياع والعبيد والخيل والفرش واشباه ذلك انما هو تصفية البدن وحفظ
صحته وان يبقى على اعتداله مدة ما وان لا يقع في الامراض ولا يخشى المنية وان يتهيأ بنعمة الله عز وجل عليه ليستعد
لدار البقاء والحيوة السرمدية وان اللذات البدنية كلها بالحقيقة هي خلاص من الآلام وراحات من تعب فاذا عرف
ذلك وحققه ثم يعوده بالسيرة الدائمة على الرياضات التي تحرك الحرارة الغريزية وتحفظ الصحة وتنفي الكسل وتطرد
البلادة وتبعث النشاط وتذكي النفس فمن كان مملا مترفا كانت هذه الاشياء التي رسمتها اصعب عليه لكثرة من
يلاطفه به ويحوطه وللموافقة طبيعة الانسان في اول ما ينشأ هذه اللذات ولحاح جمهور الناس على نيل ما امكنهم منها
وطلب ما تعذر عليهم بغاية جهدهم **فاما** الفقراء فالامر عليهم اسهل بل هم قريبون الى الفضائل قادرون عليها
متمكنون من نيلها والاصابة منها وحال المتوسطين من الناس متوسطة في ما بين الحالتين وقد كان ملوك
الفرس الفضلاء لا يربون اولادهم بين حشمهم وخواصهم خوفا عليهم من الاحوال التي ذكرتها وكانوا ينفذونهم
الى النواحي البعيدة منهم ومن سماع ما حذرت منه فكان يتولى تربيتهم اهل الجفاء وخشونة العيش ممن
لا يعرف التنعم والترفه واخبارهم في ذلك مشهورة وكثير من رؤساء الديلم في زماننا هذا ينقلون اولادهم عند
ما ينشأون الى بلادهم ليتعودوا بها هذه الاخلاق ويبعدوا عن التنعم وعادات اهل البلدان الردية **واذ قد**
عرفت هذه الطرق الموجزة في تاديب الاحداث فقد عرفت اضدادها اعني ان من نشأ على خلاف هذا الادب
والتاديب فيجب ان لا يرجى فلاحه ولا ينبغي ان يشتغل باصلاحه وتقويمه فانه قد صار بمنزلة الخنزير الوحشي الذي لا يطمع في
رياضته فان نفسه العاقلة تصير خادمة لنفسه البهيمية ولنفسه الغضبية فهي منهمكة في مطالبها من الشهوات ويكون

الى الرياضة من نشأ على هذه الطريقة واعتادها او امعن قليلا فى السن الا ان يكون من جميع احواله ملائم
سيرته ذاما لها عائبا على نفسه عازما على الاقلاع والانابة فان مثل هذا الانسان قد يرجى له النزوع عن
اخلاقه بالتدريج والرجوع الى الطريقة المثلى بالتوبة وبصاحبة الاخيار واهل الحكمة وبالاكباب على التفلسف
واذ قد ذكرنا الخلق المحمود وما ينبغى ان يؤخذ به الاحداث والصبيان فلنحص جميع القوى التى يحدث
فى الحيوان اولا اولا الى ان ينتهى اقصى الكمال فانك شديد الحاجة الى معرفة ذلك لتنبه على الترتيب الطبيعى فى نحو
واحد واحد منها **فنقول** ان الاجسام الطبيعية كلها تشترك فى الحد الذى يعمها ثم يتفاضل بقبول الاثار
الشريفة والصور التى تحدث فيها فان الجماد منها اذا قبل صورة مقبولة عند الناس صار بها افضل من الطينة
الاولى التى لا تقبل تلك الصورة فاذا بلغ الى ان يقبل صورة النبات صار بزيادة هذه الصورة افضل من الجماد
وتلك الزيادة هى الاغتذاء والنمو والامتداد فى الاقطار واجتذاب ما يوافقه من الارض والماء وترك ما لا يوافقه
ونفض فضوله التى يتولد فيه من غذائه عن جسمه بالصموغ وهذه هى الاشياء التى تفضل بها النبات من
الجماد وهى حال زائدة على الجسمية التى حددناها وكانت حاصلة فى الجماد وهذه الحالة الزائدة فى النبات التى تشرف
بها على الجماد تتفاضل فى ذلك ان بعضها يفارق الجماد مفارقة يسيرة ثم يتدرج فيها فيحصل من هذه الزيادة شئ بعد شئ
بعضها ينبت من غير بذر ولا يحفظ نوعه بالثمر المؤنس والبذر ويكفيه فى حدوثه امتزاج العناصر وهبوب الرياح وطلوع
الشمس فذلك يلى افق الجمادات وقريب الحال منها ثم تزداد هذه الفضيلة فى النبات فيفضل بعضه على بعض
بنظام وترتيب حتى يظهر فيه قوة الاثمار وحفظ النوع بالبذر الذى يخلف به مثله فيصير هذه الحال زائدة فيه
ومميزة له عن حال ما قبله ثم يقوى هذه الفضيلة فيه حتى يصير فضل الثالث على الثانى كفضل الثانى على الاول
ولا يزال يشرف ويفضل بعضه على بعض حتى يبلغ الى افقه ويصير فى افق الحيوان وهى كذا فى الشجر كالزيتون والرمان
والكرم واصناف الفواكه الا انها بعد مختلطة القوى اعنى ان قوى ذكورها واناثها مختلطات غير
متميزة فهى تحمل وتولد المثل ثم يبلغ غاية افقها التى يتصل بافق الحيوان ثم تزداد ويعرض فى هذا الافق الى
ان تصير فى افق الحيوان فلا يحصل زيادة ورد ما بها ان قبلت زيادة يسيرة صارت حيوانا وخرجت عن افق
النبات فتميز قواها وتحصل فيها ذكور واناث ويقبل من فضائل الحيوان امورا يتميز بها من سائر النبات

والشجر كالنخل الذي طالع افق الحيوان بالخواص المشتركة المذكورة فيهما ولم يبق بينه وبين الحيوانات الا رتبة واحدة وهي الانقلاع من الارض والسعي الى الغذاء. **وقد روي** في الخبر ما هو كالاشارة او كالرمز الى هذا المعنى وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة آدم فاذا تحرك النبات وانقلع من افقه وسعى الى غذائه ولم يتقيد في نموه الى ان يصير اليه غذاؤه وكونت له الآلات التي يتناول بها حاجاته التي تكمله فقد صار حيوانا وهذه الآلات يتزايد في الحيوان من اول افقه ويتفاضل فيه ويشرف بعضها على بعض كما كان ذلك في النبات فلا يزال يقبل فضيلة بعد فضيلة حتى يظهر فيها قوة الشعور باللذة والاذى فيلتذ بما يؤدي الى منافعه ويتألم بما يؤدي الى مضاره اليه ثم يقبل الهام الله عز وجل اياه فيهتدي الى مصالحه ويطلبها والى اضدادها فيهرب منها وما كان من الحيوان في اول افق النبات فانه لا يتزاوج ولا يطلب النسل بل يتولد فقط كالديدان والذباب واصناف الحشرات الخسيسة ثم يتزايد فيها قبول الفضيلة كما كان ذلك في النبات سواء ثم يحدث فيه قوة الغضب التي ينهض بها الى دفع ما يؤذيها فيعطى من السلاح بحسب قوتها وما يطيق استعماله فان كانت قوته الغضبية شديدة كان سلاحه قويا تاما وان كانت ناقصة كان ناقصا وان كانت ضعيفة جدا لم يعط سلاحا البتة بل يعطى آلة الهرب كشدة العدو والقدرة على الحيل التي تنجيه من مخاوفه وانت ترى ذلك عيانا من الحيوان التي اعطي القرون التي تجري له مجرى الرماح والذي اعطي الانياب والمخالب التي تجري له مجرى السكاكين والخناجر والذي اعطي الرمي الذي يجري له مجرى النبل والنشاب والذي اعطي الحوافر التي تجري له مجرى الدبوس والطبرزين فاما ما لم يعط سلاحا لضعفه عن استعماله ولقلة شجاعته ونقصان قوته الغضبية ولانه لو اعطيه لصار كلا عليه فقد اعطي آلة الهرب والحيل بجودة العدو والخفة والحيل والمراوغة كالارانب والثعالب واشباهها **واذا** انت تصفحت الحيوانات والسباع والوحش والطير رأيت هذه الحكمة مستمرة فيها فتبارك الله احسن الخالقين

فاما الانسان فقد عرض من هذه الآلات كلها بان هدي الى استعمالها كلها وسخرت هذه كلها له وتمكن في ذلك ثم صنع منها اسلحة من هذه الاشياء والشكولها التي يعترض في قصد بعضها بعضا بالتلف وايقاع الالم والاذى فليس يليق بهذا الموضع وسنذكرها ان شاء الله في الاحاطة ببلوغنا الى الموضع الخاص به ونعود الى ذكر مراتب الحيوان **فنقول** ان ما اقتضى منها الى الازدواج وطلب النسل وحفظ الولد وتربيته والاشفاق عليه بالكن والعش والكناس كانت مد

فيما يليه يبتنى تغذيته اما النبات الذي لم ينتقل المنزلة اليه فانه افضل بما لا يحتاج الى شئ سوى ان لا يزال هذه الحال
تتزايد في الحيوان حتى يقرب من افق الانسان فحينئذ يقبل التأديب ويصير بقبوله الادب ذا فضيلة يتميز بها من سائر الحيوانات
الاخر ثم تتزايد هذه الفضيلة في الحيوانات حتى يتشرف بها ضرب من الشرف كالفرس المؤدب والبازي المعلم ثم يصير من هذه
المرتبة الحيوان الذي يحاكي الانسان من تلقاء نفسه ويتشبه به من غير تعلم كالقردة وما اشبهها ويبلغ من ذكائها
الى ان يكتفي في التأديب بان يرى الانسان يعمل عملا فيعمل مثله من غير ان يحوج الانسان الى تعب بها ورياضة
لها وهذه غاية افق الحيوان التي ان تجاوزها وقبل زيادة يسيرة خرج بها عن افقه وصار في افق الانسان الذي
يقبل العقل والتمييز والنطق والالات التي يستعملها والصور التي تلائمها فاذا بلغ هذه المرتبة تحرك الى المعارف واشتاق
الى العلوم وحدثت له قوى وملكات ومواهب من الله عز وجل يقتدر بها على الترقي والامعان في هذه المرتبة كما كان
ذلك في المراتب الاخر التي ذكرناها واول هذه المراتب من الافق الانساني المتصل باخر ذلك الافق الحيواني مراتب الناس الذين
يسكنون في اقاصي المعمورة من الشمال والجنوب كاواخر الترك من بلاد يأجوج ومأجوج واواخر الزنج واشباههم من الامم
التي لا تتميز عن القرود الا بمرتبة يسيرة ثم تتزايد فيهم قوة التمييز والفهم الى ان يصيروا الى وسط الاقاليم فيحدث فيهم الذكاء و
سرعة الفهم وقبول الفضائل والى هذا الموضع ينتهي فعل الطبيعة التي وكلها الله عز وجل بالمحسوسات ثم يستعد بهذا
القبول لاكتساب الفضائل واقتناء الاداب بالارادة والسعي والاجتهاد الذي ذكرناه فيما تقدم حتى يصل الى اخر
افقه فاذا صار الى افقه اتصل باول افق الملائكة وهذه اعلى مرتبة الانسان وعندها تتحد الموجودات و
يتصل اولها باخرها وهو الذي يسمى **دائرة الوجود** لان الدائرة هي التي قيل في حدها انها خط
واحد يبتدئ بالحركة من نقطة وينتهي اليها بعينها ودائرة الوجود هي المتحدة التي جعلت الكثرة وحدة وهي التي تدل
دلالة صادقة برهانية على وحدانية موجدها وحكمته وقدرته وجوده تبارك اسمه وتعالى ولولا تقدم ذكره ولولا ان
شرح هذا الموضع لا يليق بصناعة تهذيب الاخلاق لتقصيته وانت تقف عليه ان بلغت اليه بمشيئة الله وعونه واذا
تصورت قدر ما رمينا اليه وفهمته اطلعت على الحالة التي خلقت لها وندبت اليها وعرفت الافق الذي يتصل بافقك
من تحته وبعده رتبة وركوبك طبقا عن طبق وحدثت لك الايات اليهم وشهدت ما غاب عن غيرك من الشاهد و
بالنطق ان ينجر الى العلوم الشريفة الكلية التي مبدأها علم المنطق فانه الالة في تقويم الفهم والعقل الغريزي ثم

ثم الوصول به الى معرفة الحقائق وطلب الشهادة التعلق بها والتوسع فيها والتوصل منها الى العلوم الالهية وحينئذ يستعد لقبول مواهب الله عز وجل وعطاياه ويأتيك الفيض الالهي وتسكن عن قلق الطبيعة وحركات الشوق الحيوانية وتحفظ المراتب التي ترقيت منها اولا فاولا من مراتب الموجودات وعلمت ان كل مرتبة منها محتاجة الى ما قبلها في وجودها وعلمت ان الانسان لا يتم له كمال الابعد ان يحصل له ما قبله وانه اذا حصل انسانا كاملا وبلغ غايته فقد اشرق نور الافق الاعلى عليه وصار اما حكيما تاما تأتيه الالهامات فيما يتصرف فيه من المحاولات الحكمية والتأييدات العلوية في التصورات العقلية واما نبيا مؤيدا يأتيه الوحي على ضرب المنازل التي تكون له عند الله عز وجل فيصير حينئذ واسطة بين الملاء الاعلى والملاء الاسفل وذلك يتصور حال الموجودات كلها والحال التي ينتقل اليها من حال الانسية ومطالعة الافاق التي ذكرناها وحينئذ يفهم عن الله عز وجل قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ويتصور معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله هناك ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اذا بلغنا الكلام الى ذكر هذه المنزلة العالية الشريفة التي اهل الانسان لها وانتقل الحال التي يترقى فيها وانه يكون اولا بالشوق الى المعارف والعلوم فينبغي ان نزيد في بيانه ونشرحه **فنقول** ان هذا الشوق ربما ساق الانسان على منهاج قويم وقصد صحيح حتى يتأدى الى غاية كماله وهي سعادته التامة وقلما يتفق ذلك وربما اعوج به عن السمت والسنن وذلك لاسباب كثيرة يطول ذكرها ولا حاجة بك الى علمها الان وانت في تهذيب خلقك كما ان الطبيعة المدبرة للاجسام ربما اشتاقت الى ما ليس بتمام الجسم الطبيعي لعلل تحدث به وآفات تطرأ عليه بمنزلة من يشتاق الى اكل الطين وما جرى مجراه مما لا يحمل طبيعة الجسد بل يهدمه ويفسده كذلك ايضا النفس الناطقة ربما اشتاقت الى النظر والتمييز الذي لا يكملها ولا يشوقها نحو سعادتها بل يحركها الى الاشياء التي تعوقها وتقصر بها عن كمالها فحينئذ تحتاج الى علاج نفساني وبرهاني كما احتاج في الحالة الاولى الى طب طبيعي جسماني ولذلك يكثر حاجات الناس الى المقومين والمثقفين والى المؤدبين والمسددين فان وجود تلك الطبائع الفائقة التي ينساق بذاتها من غير توقيف الى السعادة عسيرة الوجود لا يوجد الا في الازمنة الطوال والمدد البعيدة وهذا الادب الحق الذي يؤدي بنا الى غايتنا يجب ان يلحظ فيها المبدأ الذي يجري مجرى الغاية حتى اذا لحظت الغاية تدرج منها الى الامور الطبيعية على طريق التحليل ثم يبتدأ من اسفل على طريق التركيب فيسلك فيها الى ان ينتهي الى الغاية التي لحظت اولا وهذا هو المعنى الذي

اخرجنا في مبدأ هذا الكتاب في فصول اخر منه ان نذكر اشياء عالية لا يليق بهذه الصناعة ليشتاق اليها من يستحقها اذ
ليس يمكن الانسان ان يشتاق الى ما لا يعرفه البتة فاذا لحظها من بعيد ومال اليها ورغب فيها بما عرفها بعض المعرفة فيشتاق و
يسعى نحوها واحتمل التعب والنصب فيها **وينبغي** ان يعلم ان كل انسان معد نحو فضيلة ما فمنهم من هو اليها اقرب والوصول اليها احرى
ولذلك ما تصير سعادة الواحد من الناس غير سعادة الآخر الا ان اتفقت له نفس صافية وطبيعة فائقة فينتهي الى غايات
الامور والى غايات غاياتها اعني السعادة القصوى التي لا سعادة بعدها ولاجل ذلك يجب على مدبر المدن ان
يسوق كل انسان نحو سعادته التي تخصه ثم يقسم عنايته بالناس ونظره لهم بقسمين احدهما في تسديد الناس و
تقويمهم بالعلوم الفكرية والآخر في تسديدهم نحو الصناعات والاعمال الحسية واذا سددهم نحو السعادة بدأ بهم من الغاية الاخيرة
على طريق التحليل ووقف بهم عند القوى التي ذكرناها واذا سددهم نحو السعادة العملية بدأ بهم من عند هذه القوى وانتهى
بهم الى تلك الغايات **ولما كان** غرضنا في هذا الكتاب السعادة الخلقية وان يصدر عنا الافعال كلها جميلة كما رسمنا
في صدر هذا الكتاب وجعلناه الجزء الحكمي لا العلمي وكان النظر متقدم العمل وجب ان نذكر الخير المطلق والسعادة الانسانية
لتلحظ الغاية الاخيرة ثم تطلب بالافعال الارادية التي ذكرناها في المقالة الاولى وارسطاطاليس قد ابتدأ كتابه بهذا الموضع
اقتصر بذكر الخير المطلق ليعرف ويتشوق ونحن نذكر ما قاله ونتبعه بما اخذناه ايضا عنه في مواضع اخر ليجتمع لنا ما فرقه في تصنيفه
الى ذلك ما اخذناه عن مفسري كتبه والمستقلين بحكمته بحسب استطاعتنا والله الموفق والمؤيد فان الخيرات بيده وهو حسبنا
ونعم الوكيل وصلواته على نبيه محمد وآله

تمت المقالة الثانية

نبتدئ بعون الله تعالى في هذه المقالة
بذكر الفرق بين الخير والسعادة بعد ان نحكي الفاظ ارسطو ونقتدي به ونوفيه حقه **فنقول** ان الخير على ما حده
واستحسنه من تقدمه من المتقدمين هو المقصود من الكل وهو الغاية الاخيرة وقد يسمى الشيء النافع في هذه الغاية خيرا
فاما السعادة فهي الخير بالاضافة الى صاحبها وهي كمال له فالسعادة اذن خير ما وقد تكون سعادة الانسان
غير سعادة الفرس وسعادة كل شيء في تمامه وكماله الذي يخصه فاما الخير الذي يقصده الكل بالشوق فهي
طبيعة مقصودة ولها ذات وهو الخير العام للناس من حيث هم ناس فهم باجمعهم مشتركون فيها واما السعادة فهي خير
بالواحد واحد من الناس فهي اذن بالاضافة وليس لها ذات بعينه وهي تختلف بالاضافة الى قاصديها فلذلك
يكون الخير المطلق غير مختلف فيه وقد ظن ان السعادة تكون لغير الناطقين فان كان ذلك فانا لم نستعملها

استعدادات فيها القبول بما ما تهارك الانتهاء عن غير قصد ولا روية ولا ارادات فتلك الاستعدادات هي الشوق او ما يجري مجرى الشوق وهي النا طقين بالارادة فاما ما يأتي الحيوانات في ما لها ومسارها وراحاتها فينبغي ان نسمي هذا ارتفاقا ولا يوهل لاسم السعادة كما يسمى في الانسان ايضا وانما استحسن ذلك الحد الذي ذكرنا في الخير المطلق لان العقل لا يطلق السعي والحركة الى لا نهاية وهذا ارى العقل ومثال ذلك ان الصناعات والمهن والتدابير الاختيارية كلها يقصد بها خيرا ما وما لم يقصد به خير فهو عبث والعقل يخطيه ويمنع منه فبالواجب صار الخير المطلق المقصود هو المتشوق اليه من كل الناس ولكن بقي ان يعلم ما هو ما الغاية الاخيرة منه التي هي غاية الخيرات التي يرتقى الخيرات كلها اليها حتى يصل ذلك الخير غرضا يتوجه اليه ولا ننشر افكارنا في الخيرات الكثيرة التي تؤدي اليها اما مادية بعيدة واما مادية قريبة ولا يغلط ايضا فيما ليس بخير فيظنه خيرا او يفنوا اعمارنا في طلبه والتعب وكل سنين بمشية الله **اقسام الخير** الخير على ما قسمه ارسطو وحكاه عنه فرفوريوس وغيره هكذا قال الخيرات منها ما هي شريفة ومنها ما هي ممدوحة ومنها ما هي بالقوة كذلك ومنها ما هي نافعة فيها **فالشريفة** منها ما هي التي شرفها من ذاتها يحصل من اقتنائها ايضا شريفا وهي الحكمة والعقل **والممدوحة** مثل الفضائل والافعال الجميلة الارادية **والتي** هي بالقوة هي مثل التهيؤ والاستعداد لنيل الاشياء التي تقدمت **والنافعة** هي جميع الاشياء التي يطلب لا لذاتها بل ليوصل بها الى الخيرات **وعلى جهة اخرى** الخيرات **منها** ما هي غايات **ومنها** ما ليست بغايات والغايات **منها** ما هي تامة **ومنها** ما هي غير تامة فالتي هي تامة كالسعادة وذلك انا اذا وصلنا اليها لم نحتج الى ان نستزيد اليها شيئا اخر والتي هي غير تامة فكالصحة واليسار من قبل انا اذا وصلنا اليها احتجنا الى ان نستزيد فنقتني اشياء اخر واما التي ليست بغايات البتة فبمنزلة العلاج والتعلم والرياضة **وعلى جهة اخرى** الخيرات **منها** ما هي في النفس **ومنها** ما هي في البدن **ومنها** ما هو خارج عنهما **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها ما هو مؤثر لاجل ذاته ومنها ما هو مؤثر لاجل غيره ومنها ما يؤثر للامرين جميعا **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها ما هو خير على الاطلاق ومنها ما هو خير عند الضرورة والاتفاق التي يتفق لبعض الناس في وقت دون وقت وايضا منها ما هو خير لجميع الناس ومن جميع الوجوه وفي جميع الاوقات ومنها ما ليس لجميع الناس ولا من جميع الوجوه **وعلى جهة اخرى** الخيرات منها ما هو في الجوهر ومنها ما هو في الكمية ومنها ما هو في الكيفية وفي سائر

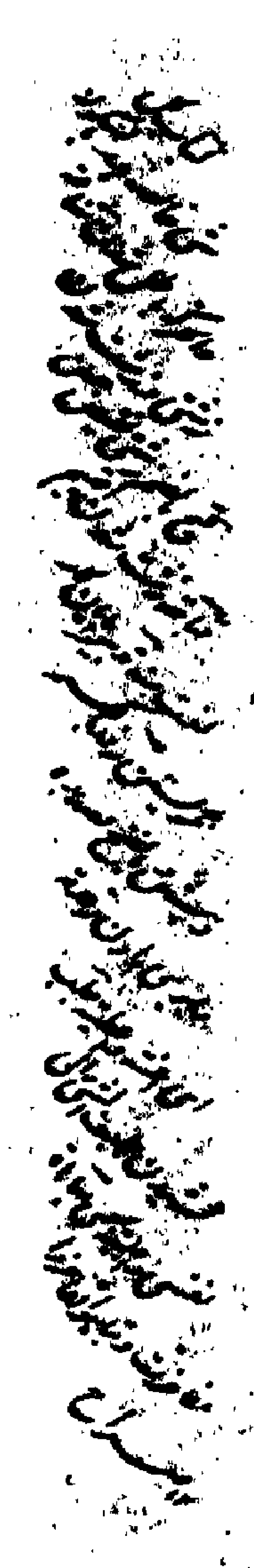
المقولات فمنها كالقوى والملكات ومنها كالاحوال ومنها كالافعال ومنها كالغايات ومنها كالمواد ومنها كالآلات
ويجرى الخير فى المقولات كلها يكون على هذا المثال اما فى الجوهر اعنى ما ليس بعرض فالله تعالى وتقدس هو الخير الاول
فان جميع الاشياء يحرك نحوه بالشوق اليه ولان ينال الخيرات الجنية من البقاء والسرمد والتمام وغيره واما فى الكمية فكالعدد
المعتدل والمقدار المعتدل فكالدارت واما فى الاضافة فكالصداقات والرياسات واما فى الاين فمعنى كالمكان
المعتدل والزمان كالابق البهج واما فى الوضع فكالقعود والاضطجاع والاتكاء الموافق واما فى الملك فكالمال
والنافع واما فى الانفعال فكالسماع الطيب وسائر المحسوسات الموثرة واما فى الفعل فمثل نفاذ الامر ونجح
الفعل وعلى جهة اخرى الخيرات منها معقول ومنها محسوسات فاما السعادة فقد قلنا انها
خير ما هى تمام الخيرات وغايتها والتام هو الذى اذا بلغنا اليه لم نحتج معه الى شئ اخر فلذلك نقول ان السعادة
هى افضل الخيرات ولكنها تحتاج فى هذا التمام الذى هو الغاية القصوى الى سعادات اخر وهى التى فى البدن والتى خارج
البدن وارسطو انه يقول انه يعسر على الانسان ان يفعل الافعال الشريفة بلا مادة مثل اتساع اليد وكثرة الاصدقاء
وجودة البخت قال ولهذا ما احتاجت الحكمة الى صناعة الملك فى اظهار شرفها قال ولهذا قلنا ان كان شئ عطية
من الله تعالى وموهبته للناس فهى السعادة لانها عطية منه عز اسمه فى اشرف منازل الخيرات وفى اعلى مراتبها
وهى خاصة للانسان التام ولذلك لا يشاركه فيها من ليس بتام كالصبيان ومن يجرى مجراهم فهذه اقسام
الخيرات واما اقسام السعادة على مذهب الحكيم فهى خمسة اقسام احدها فى صحة البدن
لطف الحواس ويكون ذلك من اعتدال المزاج اعنى ان يكون جيد السمع والبصر والشم والذوق واللمس والثانى
فى الثروة والاعوان واشباههما حتى يتسع لان يضع المال فى موضعه ويعمل به سائر الخيرات ويواسى منه اهل الخير
خاصة والمستحقين عامة ويعمل به كلما يزيد فى فضائله ويستحق الثناء والحمد عليه والثالث ان يحسن
احدوثته فى الناس وينتشر ذكره بين اهل الفضل فيكون ممدوحا بينهم ويكثر من الثناء عليه لما يصطنع فيه
من الاحسان والمعروف والرابع ان يكون ناجحا فى الامور وذلك اذا استتم كل ما روى فيه وعزم عليه
حتى يصير الى ما يامله منه والخامس ان يكون جيد الرأى صحيح الفكر سليم الاعتقادات فى دينه وغيره سليما
بريا من الخطاء والزلل جيد المشورة فى الآراء فمن اجتمعت له هذه الاقسام كلها فهو السعيد الكامل على

على مذهب هذا الرجل الفاضل ومن حصل له بعضها كان حظه من السعادة بحسب ذلك وأما الحكماء
الذين كانوا قبل هذا الرجل مثل فيثاغورس وسقراط وافلاطن واشباههم فانهم اجمعوا على ان الفضائل
والسعادة كلها في النفس وحدها ولذلك لما قسموا السعادة جعلوها كلها في قوى النفس التي ذكرناها في اول الكتاب
وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة واجمعوا على ان هذه الفضائل هي كافية في السعادة ولا يحتاج معها الى غيرها
من فضائل البدن ولا ما هو خارج البدن وان الانسان اذا حصل تلك الفضائل لم تضره في سعادته ان يكون سقيما
ناقص الاعضاء مبتلى بجميع امراض البدن اللهم الا ان يلحق النفس منها مضرة في خاصها مثل فساد العقل ورداءة
الذهن وما اشبههما فاما الفقر والخمول وسقوط الجاه وسائر الاشياء الخارجة عنا فليست عندهم بقادحة في
السعادة البتة فاما الرواقيون وجماعة من الطبيعيين فانهم جعلوا البدن جزءا من الانسان ولم يجعلوه آلة كما ذكرنا
فيما تقدم فلذلك اضطروا الى ان يجعلوا السعادة التي في النفس غير كاملة اذا لم يقترن بها سعادة البدن وما هو خارج
ايضا عن الاشياء التي تكون بالبخت والجد والمحققون من الحكماء يحقرون امر البخت وكلما يكون به ومعه ولا يعدون
تلك الاشياء من السعادة لان السعادة شيء ثابت غير زائل ولا متغير وهي اشرف الامور واكرمها وارفعها فلا يجعلون الاخس من
الاشياء وهو الذي يتغير ولا يثبت ولا يحصل بروية ولا فكر ولا يتأتى بعقل وفضيلة فيها نصيبا ولهذا اختلف نظر
القدماء في السعادة العظمى فظن قوم انها لا تحصل للانسان الا بعد مفارقة البدن والطبيعيات كلها وهؤلاء هم القوم
الذين حكينا عنهم ان السعادة العظمى هي في النفس وحدها وسموا الانسان ذلك الجوهر وحده دون البدن ولذلك
حكموا بانها ما دام متصلا بالطبيعة وكدرها وانجاس البدن وضروراته وحاجات الانسان به وافتقاره الى الاشياء الكثيرة
فليس بسعيد على الاطلاق وايضا لما راوها لا يكمل لوجود الاشياء العقلية لانها مستترة عنها بظلمة الهيولى على قصورها
ونقصانها ظنوا انها اذا فارقت الجهالات وصفت وخلصت قبلت الاضاءة والنور الالهي اعني العقل التام ويجب على
راي هؤلاء ان يكون الانسان لا يسعد السعادة التامة الا في الآخرة بعد موته واما ما دام هو انسان فليست
له سعادة تامة واما الفرقة الاخرى فانها قالت انه من القبيح الشنيع ان نظن ان الانسان ما دام
يعمل الاعمال الصالحة ويعتقد الآراء الصحيحة ويسعى في تحصيل الفضائل كلها لنفسه ولابناء جنسه ويخلف رب
العزة تعالى ذكره في خلقه بهذه الافعال المرضية فهو شقي ناقص حتى اذا مات وعدم هذه الاشياء صار سعيدا

تام السعادة وارسطاطاليس يحقق هذا الرأي وذلك انه يكون في السعادة الانسانية والانسان عنده هو المركب من
بدن ونفس ولذلك حد الانسان بالناطق المائت وبالناطق الماشي برجلين وما اشبه ذلك وهذه الفرقة التي
رئيسها ارسطوطاليس ترى ان السعادة الانسانية تحصل في الدنيا اذا سعى لها وتعب بها حتى يصل الى اقصاها ولما رأى الحكيم
ذلك ان الناس مختلفون في هذه السعادة الانسانية وانها قد اشكلت عليهم احتاج الاستاذ الى التعب الاتم
عنها والى اطالة الكلام فيها وذلك ان الفقير يرى ان السعادة العظمى في الثروة واليسار والمريض يرى انها في الصحة والسلامة
والذليل انها في الجاه والسلطان والخليع يرى انها في التمكن من الشهوات كلها على اختلافها والعاشق يرى انها في
الظفر بالمعشوق والفاضل يرى انها في افاضة المعروف والفيلسوف يرى ان هذه كلها اذا كانت مرتبة بحسب العقل في
عند الحاجة وفي الوقت الذي يجب وكما يجب فهي كلها سعادات وما كان منها لاجل الشيء الآخر فذلك الشيء احق باسم السعادة ولما
كان كل واحد من هاتين الفرقتين نظرت نظرا ما وجب ان نقول في ذلك ما نراه صوابا جامعا للرأيين فنقول ان الانسان
ذو فضيلة روحانية يناسب بها الارواح الطيبة التي تسمى ملائكة وذو فضيلة جسمانية يناسب بها الانعام لانه مركب منهما فهو بالجزء
الجسماني الذي يناسب به الانعام مقيم في هذا العالم الجسماني السفلي مدة قصيرة ليعمره وينظمه ويرتبه حتى اذا ظفر بهذه المرتبة
على الكمال انتقل الى العالم العلوي وقام فيه دائما سرمدا في صحبة الملائكة والارواح الطيبة **وينبغي** ان يفهم من قولنا العالم
السفلي والعالم العلوي ما ذكرناه فيما تقدم فانا قد قلنا هناك انا لسنا نعني بالعلوي المكان الاعلى في الحس ولا بالعالم السفلي
المكان الاسفل في الحس بل كل محسوس فهو سفلي وان كان محسوسا في المكان الاعلى وكل معقول فهو علوي وان كان معقولا
في المكان الاسفل **وينبغي** ان يعلم انه ليس يحتاج في صحبة الارواح الطيبة اعني المستغنية عن الابدان الى شيء من
السعادات البدنية التي ذكرناها سوى سعادة النفس فقط اعني المعقولات الابدية التي هي بالحقيقة الحكمة فقط فاما ما دام
الانسان انسانا فليس يتم له السعادة الا بحصول الحالين جميعا وليس يصل الى التمام الا بالاشياء النافعة في الوصول
الى الحكمة الابدية فالسعيد اذن يكون من الناس في احدى مرتبتين اما في رتبة الاشياء الجسمانية متعلقا باحوالها السفلي
سعيدا بها وهو مع ذلك يطالع الامور الشريفة باحثا عنها مشتاقا اليها متحركا نحوها مغتبطا بها واما ان يكون في الاشياء
الروحانية متعلقا باحوالها العليا سعيدا بها وهو مع ذلك يطالع الامور الدنيئة ومعتبرا بها ناظرا في علامات القدرة
الالهية ودلائل الحكمة البالغة مقتديا بها ناظما لها مفيضا الخيرات عليها سائقا لها نحو الافضل فالافضل بحسب قبولها

فبما كمل هو استطاعتها او اى لم ثم يحصل فى احدى هاتين المنزلتين فهى رتبة الانعام بل هو اضل لان استعدادها اصل
تلك غير مرضية لهذه الخيرات كالعطيت استطاعة يحوز بها نحو هذه المراتب العالية وانما يحرك بقواها نحو الا
الخاصة بها اولا لانسان ومرض لما استعد له بها من اعتراض العلة فيها او هو من نكول غير يحصل لها كالاسماع نحوها وهو مع ذلك يحرك
لضدها يستعمل قواه الشريفة فى الامور الدنية فتلك مصيبة لكمالها التى يختصها باذن الانعام اذا امتنعت الحيوانات
الانسية فهى مستجوارا الارواح الطيبة ودخول الجنة التى وعد بها المتقون فهى معذورة والانسان غير معذور
بل مثل الاول مثل الاعمى اذا حاد عن الطريق فتردى فى بئر فهو مرحوم غير ملوم ومثل الثانى مثل البصير الذى يمشى على بصيرة
حتى يتردى فى البئر فهو ملوم غير مرحوم **واذ قد** تبين ان السعيد لا محالة فى احدى المرتبتين اللتين ذكرناهما فقد تبين ايضا
ان احدهما انقص مرتبة من الاخرى وان الانقص منهما لا يخلو ولا يبرى من الالام والحسرات لاجل انخداع الطبيعة والزخارف
التى يتزين بها لابنه فيوقعها بالاخطاء ويمنعه من الترقى فيها على ما ينبغى ويشغله بما يتعلق به من الامور الجسمانية فصاحب
هذه الرتبة غير كامل على الاطلاق ولا سعيد تام وان صاحب الرتبة الاخرى هو السعيد التام وهو الذى يوفر حظه من الحكمة فهو
متقوم بحالته بين الملاء الاعلى يستمد منهم لطائف الحكمة ويستنير بالنور الالهى ويستزيد من فضائله بحسب عنايته
بها وقلة عوائقه عنها فلذلك يكون ابدا خاليا من الالام والحسرات التى لا يخلو منها صاحب الرتبة الاولى منها ويكون مسرورا
ابدا بذاته مغتبطا بحاله وبما يحصل له دائما من فيض نور الاول فليس يميل لا بتات اللذات ولا ينبسط لا بنات المحاسن
ولا يعشق لا لاظهار تلك الحكمة بين اهلها ولا يرتاح الا لمن ناسبه او قاربه واحب الاقتباس منه وهذه هى الرتبة
التى من يصل اليها فقد وصل الى اخر السعادات واقصاها وهو الذى لا يبالى بفراق الاحباب من اهل الدنيا ولا يتحسر على ما يفوته
من التنعم فيها وهو الذى يرى جسمه وماله وجميع خيرات الدنيا التى عددناها فى السعادات التى فى بدنه والخارجة عنها
كلا وكلا عليه الا فى ضرورات يحتاج اليها لبدنه الذى هو مربوط به لا يستطيع الانحلال عنه الا عند مشية
خالقه وهو الذى يشتاق الى صحبة اشكاله وملاقاة من يناسبه من الارواح الطيبة والملائكة المقربين وهو الذى
لا يفعل الا ما اراده منه ولا يختار الا ما قرب اليه ويخالفه الى شئ من هواه وشهواته الردية ولا ينخدع
بخدائع الطبيعة ولا يلتفت الى شئ يعوقه عن سعادته وهو الذى لا يحزن على فقد محبوب ولا يتحسر على فوت
مطلوب الا ان هذه الرتبة الاخيرة يتفاوت الناس فيها تفاوتا عظيما اعنى لمن وصل اليها من الناس

يكونون على طبقات كثيرة غير متقاربة وهاتان المرتبتان هما اللتان ساق الحكيم كلامه اليهما واخذ المرتبة
الاخيرة منهما وذلك في كتابه المسمى بفضائل النفس وانا اورد الفاظه التي نقلت الى العربية بعينها **قال** اول
رتب الفضائل التي تسمى سعادة ان يصرف الانسان اراداته ومحاولاته الى مصلحته في العالم المحسوس والامور المحسوسة
من امور النفس والبدن وما كان من الاحوال متصلا بذلك ومشاركا له من الامور النفسانية ويكون تصرفه في الامور
المحسوسة تصرفا لا يخرج به عن الاعتدال اللائق بالاحوال الحسية هذه حال قد يتلبس فيها الانسان بالاهواء والشهوات
الا ان ذلك بقدر معتدل غير مفرط وهو على ما ينبغي اقرب منه الى ما لا ينبغي وذلك انه يجري امره نحو التدبير المتوسط
في الفضيلة وما لا يخرج به عن تقدير الفكر وان لابس الامور المحسوسة وتصرف فيها **ثم الرتبة الثانية** وهي التي
يصرف فيها الانسان ارادته ومحاولاته الى الامر الافضل من صلاح امر النفس والبدن من غير ان يتلبس مع ذلك بشيء من الاهواء
والشهوات ولا تكترث بشيء من القنيات المحسوسة الا بما تدعو اليه الضرورة ثم يتزايد رتبة الانسان في هذا الضرب من
الفضيلة وذلك ان الاماكن والرتب في هذا الضرب من الفضائل كثيرة بعضها فوق بعض وسبب ذلك **اما** اولا فاختلاف
طبائع الناس **وثانيا** على حسب العادات **وثالثا** بحسب منازل الناس ومواضعهم من العلم والمعرفة والفهم **ورابعا**
بحسب هممهم **وخامسا** بحسب شوقهم ومعاناتهم ويقال ايضا بحسب جدودهم ثم يكون النقلة من اخر هذه المرتبة اعني هذا
الصنف من الفضيلة الى الفضيلة الالهية المحضة وهي التي لا يكون فيها تشوق الى ات ولا التفات الى ماض ولا يشيع
بماض ولا تطلع الى تالد ولا ضن بقريب ولا خوف ولا فزع من حال ولا شغف بها ولا طلب حظ من الحظوظ الانسانية ولا
من الحظوظ النفسانية ايضا ولا بما تدعو الضرورة اليه من حاجة البدن والقوى الطبيعية ولا القوى النفسانية
ايضا لكن يتصرف الجزء العقلي في اعالي رتب الفضائل وهو صرف الارادة الى الامور الالهية ومعاناتها ونيتها وفعلها
بلا طلب عوض اعني ان يكون تصرفه فيها ومعاناته ومحاولته لها لنفس ذاتها فقط وفي هذه الرتبة ايضا تتزايد في الناس بحسب
الهمم والشوق وفضل المعاناة والمحاولة وقوة البصيرة وصحة الثقة وبحسب منزلة من بلغ الى هذا الحد من الفضيلة
في هذه الاحوال التي عددناها الا ان يكون يتشبه بالعلة الاولى والاقتداء بها وتابعا لها واخر المنازل في الفضيلة ان يكون
افعال الانسان كلها افعالا الهية وهذه الافعال هي خير محض والفعل اذا كان خيرا محضا فليس يفعله فاعله من اجل
امر غير الفعل بنفسه وذلك ان الخير المحض هو غاية متوخاة لذاتها اعني هو الامر المطلوب نفسه للمقصود بذاته ولا هو غاية



غاية ولا سيما غاية في غاية النفاسة ليس يمكن ان يطلب شيئا باعمال الاحسان والسلوك [illegible] كما [illegible]
لما به وغايته الحقيقية التي هي عنها الامر الذي حق انه بالحقيقة يفعل بينها [illegible] ساير [illegible] طبائعها [illegible]
بسائر عوارض النفس والجسد وعن [illegible] التحليل [illegible] عنها من [illegible] نفسه [illegible]
[illegible] من اجل ما ليس [illegible] الحكمة [illegible] في فعله الارادة ولا [illegible] في [illegible] اي لا يكون غرضه في فعله غير
ذلك الفعل وهذا هو سبيل الفعل الالهي فهذه الحالة [illegible] التي يفعل فيها الانسان افعال البدء
الاول خالق الكل عز وجل اعني ان يكون فيما يفعله ولا يطلب به شيئا اي لا مجازاة ولا عوضا ولا اثابة لكن يكون
فعله بعينه هو غرضه اي ليس يفعل من اجل شيء غير ذات الفعل وغير ذاته وهو ان لا يفعل ما يفعله من اجل شيء غير
فعله نفسه وذاته نفسه هو الفعل الالهي نفسه وهكذا يفعل الباري تعالى [illegible] لا من اجل شيء آخر
خارج عنه وذلك ان فعل الانسان في هذه الحالة تكون كما قلنا [illegible] حكمة [illegible] الفعل
لنفس [illegible] الفعل فقط لا لغاية اخرى [illegible] بالفعل وهكذا فعل الله عز وجل [illegible] ليس هو على القصد
الاول من اجل شيء خارج عن ذاته اعني انه ليس ذلك لاجل سياسة الاشياء التي تحت [illegible] لانه لو كان ذلك
لكانت [illegible] انما كانت ويكون [illegible] تبارك [illegible] الامور التي هي خارج لتدبيرها وتدبير احوالها [illegible]
[illegible] الاشياء التي هي خارج اسبابا وعللا لافعاله وهذا شنيع [illegible] تعالى الله عنه علوا كبيرا لكن [illegible]
عز وجل بالاشياء التي هي خارج وفعله الذي يدبرها به [illegible] انما هو على القصد الثاني ليس بفعله من اجل [illegible]
لنفسها لكن من اجل ذاته وذلك لاجل ان ذاته [illegible] انما هو من اجل الفعل [illegible] ولا من اجل شيء آخر وهكذا [illegible]
الانسان اذا بلغ غاية [illegible] الاشبه بالباري عز وجل يكون افعاله التي يفعلها على القصد الاول
من اجل ذاته نفسه التي هي العقل الالهي [illegible] من اجل الفعل نفسه وان فعل فعلا [illegible]
على القصد الاول من اجل [illegible] لكن يفعل [illegible] بقصد ثان [illegible] من اجل ذاته بالقصد
الاول ومن اجل الفعل نفسه [illegible] الفعل [illegible]
[illegible]
[illegible]

ثبتت بها الملكة التي تكون للعقل بها حتى يتشبه بمشار اليه فيها فقد انتقل من رتبة الانسانية الى الطبيعة التي فوقها
منه فقد كملت وحينئذ ينال مرتبة الحكمة وشوق الحياة ويعرف بالامور الالهية بأسرها في حد فصل وفيض منا له التي هي العقل
كما شرحت فيه القضايا الاول التي تسمى العلوم الاوائل العقلية لان شرف العقل هو بحسب هذه الحال الامور الالهية في
شبيه له المعنى الشريف واللطيف ولطهارته اشتد اتحاده وبيانا من الفضايل الاول التي تسمى العلوم الاوائل العقلية فقد نقل
هذا الكتاب نقلا فاضلا اعني نقل ابي عثمان الدمشقي وهذا الرجل فصيح باللغتين جميعا اعني اليونانية والعربية وهو النقل
عند جميع من طالع ما بين اللغتين وهو مع ذلك شديد التحري لايراد الالفاظ اليونانية ومعانيها بالفاظ العرب
ومعانيها حتى لا يختلف في لفظ ولا معنى ومن يرجع الى هذا الكتاب اعني المسمى بفضايل النفس ... هذه الالفاظ
كلها ... ليس يحصل هذه المراتب التي يترقى فيها صاحب السعادة التامة الا بعد ان يعلم الحكمة كلها
ويستوفيها اولا ولا محالة ... كتاب السعادة ... ومن ظن من الناس انه يصل اليها بغير تلك الطريقة
على غير ذلك المنهاج فقد ظن باطلا وبعد عن الحق بعدا كثيرا ولم يزل كثير في هذا النوع الخطأ العظيم الذي وقع
فيه قوم ظنوا انهم يدركون الفضيلة بتعطيل القوة الناطقة ... النظر الخاص بالعقل ... والاحاديث
مدنية ولا يحصل ما ... التمييز والعقل ولذلك رتبنا هذا الكتاب بحسب تلك ... الحكمة
بالحكمة البالغة ويهذب لها النفس ... بها ... الامور الطبيعية ... الابدان ولذلك
سميته ايضا بكتاب الطهارة وقد قال ارسطوطاليس في كتاب الاخلاق ان هذا الكتاب لا ينتفع به الاحداث ... ولا
من هو في طبيعة الاحداث قال وليس اعني بالحدث ... السن لان الزمان لا ... في ... الى
يقصدها اهل الشهوات واللذات الحسية فاما انا فاقول ان ما ذكرت من الرتبة الاخيرة من السعادة ...
الاحداث ... بل ... الا ... ان ... حكمية لا يصل اليها الا ... كل
من نظر في هذا الكتاب ... الاول منها بالاخلاق التي وصفتها ان يرتقي بعد ذلك ... الشديد ...
التام ... ما ذكرنا وحكيناه ... في الحكمة ... عن ...
فاذا بلغ الانسان الى غاية هذه السعادة ... الكثيف ... الطبيعة التي
... الطبيعية ... العقلية ... ووصل ... الاخير

فيه نزاع الى تلك القوى التى كانت تعوقه عن سعادته ولا شوق اليها ولا حسرة عليها ولا يعتد بها ولم يبق فيه ارادة لها
ولا حرص عليها ولا يستعظم الجواهر الحسية الثمين ويستهل كرامته وفيض نفسه الذى كان عنده يستعظمه ولا فيه قبول من
عظائمه وما فيه حينئذ السبح الذى وعد به المتقون ولا يراهما حق الاتيان اليه ما رأى قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما
اخفى لهم من قرة اعين وفى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم هناك ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر واذ قد تحصلت هاتان المنزلتان من السعادة فقد تبين بيانا كافيا ان احدهما بالاضافة الينا اولى
والاخرى ثابتة ومن المحال ان تنسلك الى الثانية من غير ان تمر بالاولى فقد وجب ان نعرف الامور التى تترقى بها من المرتبة
الاولى من السعادة الى الاخيرة ونستوفى الكلام فيها وفى الاخلاق التى بينا الكتاب عليها ونحن مبينون الرتبة الثانية
وقت لنرتقى الى ان من حق بعض القوى التى ذكرناها دون بعض ونيل صلاحها فى وقت دون وقت لا يحصل له
السعادة وكذلك يكون حال الرجل فى تدبير منزله اذا عنى ببعض اجزائه دون بعض وفى وقت دون وقت فانه لا يكون له
مدبر منزل وكذلك حال مدبر المدينة اذا خص بلطفه طائفة دون طائفة او وقتا دون وقت لم يستحق اسم الرئاسة
على الاطلاق وارسطاطاليس يقول ان الخطاف الواحد اذا ظهر لا يدل على طبيعة الربيع ولا يوم واحد
بالصحو يشهد بالربيع فسبيل طالب السعادة ان يطلب السيرة اللذيذة عنده فيشتغل بها دائما فان تلك السيرة هى حاصلة
لذيذة فى نفسها لا لذاته قلنا انه ينبغى ان يشتغل بها دائما ويثبت عليها ابدا ولما كانت السير ثلثا لانها تنقسم باقسام
الغايات الثلث التى يقصدها الناس اعنى سيرة اللذة وسيرة الحكمة وكانت سيرة الحكمة اشرفها لانها وكانت
فضائل النفس كثيرة وجب ان يفضل الانسان بافضلها ويشرف باشرفها فسيرة الافاضل السعداء سيرة لذيذة
بنفسها لان افعالهم مختارة ومحمودة وكل انسان يلتذ بما هو محبوب عنده فليلتذ بالعدل العادل وبالحكمة
الحكيم لان الافعال الفاضلة والغايات التى ينتهى اليها بالفضائل لذيذة محبوبة السعادة الذ من كل شىء وارسطو
يقول ان السعادة الالهية وان كانت كما ذكرناه من الشرف وسيرتها الذ واجود من كل فانها محتاجة الى السعادات
الاخرى الخارجة كيما يظهر بها والا كانت كامنة غير ظاهرة واذا كانت كذلك كان صاحبها كالفاضل النائم الذى
لا يظهر فضله حينئذ ولا يكون بينه وبين غيره فرق كما وصفنا من حالها فيما تقدم فالمطلع اذن على حقيقة هذه
السعادة المتمكن من اظهار فضله بها هو الذى يلتذ بها وهو الذى يسر سرورا حقيقيا غير مموه ولا

مزخرف بالاباطيل وهو الذي يخرج من حد المحبة الى العشق والهيمان حينئذ بالعاقل ان يصير سلطانه العاقل نحو سلطانا
بطنه وفرجه ولا يجذبه باشرف جزء منه لاخس جزء فيه واعني بالشرف المزخرف بالاباطيل اللذات التي شاركنا فيها الحيوانات التي
ليست بناطقة فان تلك لذات حسية تنصرم وشيكا وتملها الحواس سريعا فاذا دامت عليها صارت كريهة وربما
عادت مؤلمة وكان الحس لذة عرضية عليها وكذلك للعقل لذة ذاتية عليها فمن لا يعرف اللذة الحقيقية كيف يطلبها
ومن لا يعرف الرياسة الذاتية كيف يصبو اليها فلذلك قدمنا وصفها وشوقنا اليها واعادة الكلام فيها وقلنا ان من
لا يعرف الخير المطلق والفضيلة التامة ولا يعرف الحكمة العملية اعني بها الافضل ويعمل به والثبات عليه لا ينشط له
ولا يرتاح اليه ومن كان كذلك فكيف يلتذ او يتنعم بما شرحناه ودللنا عليه وكان للحكماء المتقدمين مثال في ...
في الهياكل وهي مساجدهم ومصلاهم وهو هذا الملك الموكل بالدنيا يقول ان ههنا خيرا وههنا شرا وههنا ما لا خير
ولا شر فمن عرف هذه الثلاثة حق معرفتها تخلص مني ونجى سالما ومن لم يعرفها قتله شر قتلة وذلك اني لا اقتله قتلة
وحيا استحييه مني ولكني اقتله اولا اولا في زمان طويل فهذا المثل من نظر فيه وامله عرف منه جميع ما قدمنا ذكره

وينبغي ان يعلم ان السعيد الذي ذكرنا حاله ما دام حيا تحت هذا الفلك الدائر بكواكبه ودرجاته ومطالع
سعوده ونحوسه سيرد عليه من النكبات والنوائب وانواع المحن ايضا ما يرد على غيره الا انه لا يتاذى منها كما يتاذى
غيره من الشفقة في احتمالها لانه غير مستعد لسرعة الانفعال منها بعادة الصبر والجزع ولا يبلغ اثر الهموم والاحزان بالاحوال
العارضة له وان اصابه من هذه الالام شيء فقدها لا ينتقل عن السعادة الى ضدها بل لا يخرج عن حد السعادة البتة
مثلا ايوب النبي عليه السلام واضعافه فما اخرجه عن حد السعادة وذلك لما تجد في نفسه من المحافظة على شرائط الشجاعة والصبر
ما يخرجه منه اصحاب جزع الطباع فيكون سروره او لا بذاته فربما الاحاديث الجميلة التي تنتشر عنه ويحكى القائل الذي
يدعى السلطان والمصارع الذي يهوى الغلبة كل واحد منهما تصبر على شدائد عظيمة من تقطيع اعضائه و
التي يمكن منها طلبا لما يحصل له من الغلبة وانتشار الصيت فيرى نفعا اخرى واولى منهما بالصبر ... كان من شرف
في الفضلاء اشتهر كرمه ولا ند يسعد في نفسه شيء يصير فيه الغير وارسطو يقول ان بعض الاشياء الذي يعرض من سوء
يكون يسيرا يسهل الحمل فاذا عرض للانسان فاحتمله لم يكن فيه دلالة على كبر نفسه وعظم همته وبعضها يكون عظيما
عسير الحمل فاذا احتمله دل على كبر نفسه وعظم همته ومن لم يكن سعيدا او لا شقيا ... رياضة تهذب الصبيان

الصناعة الشريفة من تهذيب الاخلاق فانه سيتصل نفعها الى ما يعرض له عند حلول المصائب به حالتين
اما الاضطراب الفاحش والالم الشديد والخروج بهما الى الحد الذي يشمت بهم واما التشبه بالسعداء والجميع
من اعظمهم فيظهر الصبر والسكون الا انه يجزع في الباطن ويتألم الضمير وكما ان الاعضاء المفلوجة اذا حركت الى اليمين تحركت
الى الشمال كذلك يكون حركات نفوس الاشرار يحركها الى خلاف ما يحملون انفسهم عليه من الجميل اعني انهم اذا
تشبهوا بالاعفاء وتعاطوا افعالهم تحركت الى ضد ما حملوها عليه واذا تشبهوا بالانجاد واهل العدالة كانت
هذه حالهم ومما استدل به من كتاب ارسطاطاليس على انه كان يقول ببقاء النفس وبالمعاد كلامه المتدارك في
كتاب الاخلاق ونحو هذا قال قد حكمنا ان السعادة شئ ثابت غير متغير وقد علمنا ايضا ان الانسان
قد يلحقه تغيرات كثيرة واتفاقات شتى فانه قد يمكن فيمن هو ارغد الناس عيشا ان يصاب بمصائب ما عليها مزيد فليس احد من
الناس سعيدا افليس ينبغي على هذا القياس ان يسمى انسان من الناس سعيدا ما دام حيا بل ينتظر به الخاتمة فيحكم عليه
فالانسان اذن انما يصير سعيدا اذا مات الا ان هذا القول في غاية الشناعة اذ كنا نقول ان السعادة هي فعل
ما ثم قال وفي هذا الموضع ايضا موضع شك فانه يظن بالميت انه يلحقه خير وشر اذ كان يلحق الحي ايضا ولا يحس به
مثل الكرامة والهوان واستقامة امر الاولاد واولاد الاولاد والنسل اما في هذه الاشياء حيرة لانه قد يمكن فيمن عاش عمره
كله الى ان بلغ الشيخوخة سعيدا وتوفي على هذا السبيل ان يلحقه مثل هذه التغيرات في اولاده حتى يكون بعضهم
خيارا حسني السيرة وبعضهم بضد ذلك وهو بين ايضا انه قد يمكن ان يوجد بين الاباء والاولاد تباين واختلاف
بكل جهة ولكن من المنكر ان يكون الميت متغيرا ويصير مرة سعيدا ومرة اخرى شقيا ومن المنكر ان لا يكون امور
الاولاد متصلة بالوالدين في وقت من الاوقات ولكن ينبغي ان يعود الى ما كان الشك وقع فيه فهذا الشك
الذي اورده على نفسه في هذا الموضع هو شك من يعتقد ان للانسان بعد موته احوالا وانه سيتصل به احوال
من امر اولاده واولاد اولاده احوال مختلفة بحسب اختلاف سير الاولاد وكيف يقول ليت شعري ان الانسان
اذا مات سعيدا ثم لحقه من شقاء بعض اولاده وشر سيرته وسيرة من يجيء من نسله ما كان ينقل
سيرته ويخرجه عن سعادته كان هذا شنعا وان لم يلحقه شيء من ذلك كان ايضا شنعا ثم ارسطو
يحل هذه الشكوك بان يقول ما هذا معناه ان سعادة الانسان ينبغي ان يكون محدودة لانه يختار به كما

يعرض له افضل الافعال من الصبر عليها ومن اشياء الاشياء الافضل مرة ومن التصرف في الاموال اذا اتسع فيها ومن التحمل اذا عدمها فيكون سعيدا في جميع احواله غير منتقل عن السعادة بوجه من الوجوه فالسعيد اذا ورد عليه مصائب عظيمة جليلة سيرته اكثر سعادة لانه يزداد به مدارا جميلا فيصبر على الشدائد والمحن صبرا حسنا حتى يفعل ذلك كما ردت عنها ونقصها عليه وجلبت له احزانا وغموما يعوقه عن افعال كثيرة وجميل اذا ظهر من التحمل في هذه الاحوال كان اشد اشراقا وحسنا وذلك اذا احتمل الكبر وعظم من المصائب احتمالا سهلا بعد ان لا يكون ذلك لعدم حسه والانفعال فهو بلا مرية لشهامته وكبر نفسه قال واذا كانت الافعال هي ملاك السيرة كما قلنا فليس يكون احد من السعداء شقيا لانه ليس يفعل في وقت من الاوقات افعالا مرذولة فاذا كان هذا هكذا فالسعيد يكون ابدا مغبوطا وان حلت به المصائب التي حلت بفريامس فلا يكون شقيا ولا سريع التنقل وذلك انه ليس مما لا ينتقل عن السعادة بسهولة ولا ينقله عنها الافات اليسيرة لكنه لا ينقله الافات العظيمة الكثيرة وليس مما يكون سعيدا اذا نالته هذه الامور زمانا يسيرا بل اذا ظفر بامور جميلة في زمان طويل ثم قال بعد ذلك فاما حال الانسان بعد موته فان القول بان الافات التي تعرض لاولاد الميت واصدقائه باجمعهم ليس تتعلق به اصلا هو قول غير مقبول اصلا وهو مضاد لما يعتقده جميع الناس اذا كانت الامور العارضة لهم كثيرة مختلفة وكان بعضها يتعداهم الى الميت اكثر وبعضها اقل صارت قسمتنا اياها الى الاشياء الجزئية بلا نهاية فاما اذا قلنا قولا كليا على طريق الرسم فخليق ان نكتفي بما نقوله فيها وهو انه كما ان الافات التي تعرض الميت في حياته بعضها يثقل عليه احتماله ويشق في سيرته وبعضها يخف عليه احتماله كذلك يكون حاله فيما يعرض لاولاده واصدقائه وكل واحد من العوارض التي تعرض للاحياء مخالفة لما تعرض لهم اذا ماتوا اكثر من مخالفة كل ما يضرب به المثل ويشبه ان يكون اذا كان يصل اليهم من هذه الاشياء شيء خيرا كان او شرا ان يكون يسيرا او قليل المقدار ما لا يجعل غير السعيد سعيدا ولا ينزع السعادة من السعداء هذا اصل ارسطاطاليس الشك الذي اورده **ولما قلنا** ان السعادة الذ الاشياء وافضلها واجودها لصاحبها وجب ان نبين وجه اللذة فيها باتم مما قلنا فيما مضى بابانة التحقيق **فنقول** ان اللذة قسمين احدهما لذة انفعالية والاخرى لذة فعلية اي فاعلية واما اللذة الانفعالية فهي ظاهرة لدى الامات وانها تشبه لذة الذكر ولذلك صارت اللذة الانفعالية هي التي تشاركنا فيها الحيوانات التي ليست بناطقة مثلها

مقترنة بالشهوات ومحبة الانتقام وهي انفعالات النفسين البهيميين واما اللذة الاخرى فهي الفاعلة وهي التي يختص
بها الحيوان الناطق ولانها غير هيولانية ولا منفعلة انفعالا بهيميا صارت لذة تامة وتلك ناقصة وهذه ذاتية وتلك
عرضية ونعني بالذاتية والعرضية ان اللذات الحسية المقترنة بالشهوة تزول سريعا وتنقضي وشيكا بان تنقلب ذاتها
فتصير غير لذات بل يصير الاما او مكروهة شنعة مستقبحة وهذه اضداد اللذة ومقابلاتها واما اللذة الذاتية
فانها لا تصير في وقت غير لذيذة ولا تنتقل عن حالتها بل هي ثابتة ابدا واذا كانت كذلك فقد صح حكمنا وصح ان
السعيد تكون لذته ذاتية لا عرضية وعقلية لا حسية وفعلية لا انفعالية والهية لا بهيمية ولذلك قال الحكماء المحصل
ان اللذة اذا كانت صحيحة ساقت البدن من النقص الى التمام ومن السقم الى الصحة ولذلك ايضا تسوق النفس
الى العلم ومن الرذيلة الى الفضيلة الا ان ههنا سرا ينبغي ان يقف عليه المتعلم وهو ان ميل الطبع الى اللذة الحسية
ميل قوي جدا وشوقنا اليها شوق مزعج شديد وليس يزيد العادة في قوة الطبع لنا كثير زيادة لفرط ما جبلنا عليه في
المبدأ من القوة والشوق فلذلك متى كانت اللذة حسية قبيحة ثم مال الطبع اليها بافراط وانفعل منها القوة وما يستحسن
الانسان اليها كل تهيج وهون على نفسه منها كل صعب ولم ير موضع الغلط ولا استحسان القبيح حتى يبطل الحكمة فاما اللذة العقلية
الجميلة فامرها بالضد وذلك ان الطبع يكرهها فان انصرف الانسان اليها لمعرفته وتبين احتاج فيها الى صبر ومشقة
حتى اذا استبصر فيها وتدرب بها انكشف له حسنها وبهاؤها وصار بالضد مما كان في الحس ومن ههنا تبين ان الانسان
في ابتدائه كونه محتاج الى سياسة الوالدين ثم الى الشريعة الالهية والدين القيم حتى يهذبه ويقومه ثم الى الحكمة البالغة
ليسوقه تدريجا الى الخير فقد تبين مع ذلك تعلق السعادة بالجود وذلك اذ قد بينا انها لذة فاعلة ولذة الفاعل ابدا
يكون في الاعطاء ولذة المنفعل ابدا يكون في الاخذ وليس يظهر ابدا لذة السعيد الا بابراز فضائله واظهار حكمته
ووضعها في مواضعها كما ان الكاتب الجيد انما يلتذ باظهار كتابته وكذلك البناء الحاذق اللطيف والموسيقار المحسن
وبالجملة كل صانع حاذق فاضل في صناعته يسر باظهار فضائله واذاعتها بين اهلها ومستحقيها وهذا هو معنى الجود
وحقيقته الا ان الجود على الاشياء باكرمها افضل واشرف من الجود بادونها واخسها وقد عرض لهذا الجود مع شرفه
وعلو رتبته ضد ما عرض لذلك الجود الآخر في ندرته وقلته وذلك ان اصحاب الاموال والقنيات الخارجة ينقص ماله
بالانفاق ويتثلم بالبذل ويفنى ذخائره بالتبذير واما صاحب السعادة التامة فان امواله لا تنقص بالانفاق بل

[illegible]

لا يفنى فى غامر بالتبذير بل يحمى مالك معرضة للآفات الكثيرة من الاعداء واللصوص وسائر المتسلطين فهذه مرتبة
من كل لغو ولا سبيل للاشرار اليها بوجه ولا بسبب فقد ظهرت لذة السعيد كيف يكون ومن اين ينبث ومن اين ينبع كيف يكون
الشر الحقيقى واللذة الذاتية **وتبين** ايضا انها ابدية وتامة الهية وان ضدها الذى هو الشقاء لذاته بالضد على
العكس اعنى ان لذاته كلها عرضية مستقلة عن طباعها الى اضداد ما تصير مملة او مكروهة وانها غير الهية بل بهيمية
وغير محمودة بل مذمومة ويجب ان ننظر فى السعادة هل هى ممدوحة قال ارسطوطاليس ان الاشياء التى هى فى غاية الفضل
لا يوجد لها مديح لانها افضل واجل من ان تمدح قال وذلك انا نسبنا الالهيين والجياد من الناس الى السعادة وليس
يوجد احد من الناس يمدح السعادة نفسها كما يمدح العدل لكنها يمجدها ويكرمها لاجل انه امر الهى فالاشياء التى هى
افضل من المدح الله والخير وذلك ان سائر الاشياء الفاضلة انما تمدح بان تنسب الى الله والى الخير فان المدح انما
هو للفضيلة والعمل بها انتهى كلامه هذا الى ان قال فالله تعالى اكرم واشرف من ان يمدح بل انما يمجد ويعظم ويسبح
ويقدس ويمجد كثيرا فاما السعادة فلانها امر الهية فانما يفعل الاشياء كلها لاجلها فى لذلك ممجدة فضل هذا الاصل
ينبغى ان لا يمدح السعادة لانها اجل من كل مديح بل يمجدها فى نفسها ويمدح الامور كلها بها ويقدر قسطها منها

تمت المقالة الثالثة من كتاب تهذيب الاخلاق وهو طهارة النفس

قد قلنا فيما سلف ان السعادة يظهر فى الافعال من العدالة والشجاعة والعفة وسائر ما تحت هذه الانواع التى احصيناها
وحددناها وهذه الافعال قد يظهر ممن ليس بسعيد ولا فاضل وذلك انه قد يعمله بعض الناس عمل العدل وليس بعادل
ويعمل عمل الشجعان وليس بشجاع ويعمل عمل الاعفاء وليس بعفيف ومثال ذلك ان من ترك الشهوات من المآكل و
المشارب وسائر اللذات التى ينهمك فيها غيره اما لانه ينتظر منها اكثر مما يحضره واما لانه لم يعرفها ولم يباشرها كالقرويين
الذين يبعدون عن المدن وكالرعاة فى البوادى وقلل الجبال واما لانه استشرفها من قبل ولما حكر هما بالجنابة
واما لانه ممنوع منها فان هؤلاء كلهم يعملون عمل الاعفاء وليسوا باعفاء فان العفيف على الحقيقة من وفى العفة
حدها المذكور فيما تقدم واختارها لنفسها لا لغرض آخر غيرها وآثرها لانها فضيلة ثم تناول كل واحدة من
شهواته بمقدار الحاجة ومن الوجه الذى ينبغى وعلى الحال التى ينبغى وكذلك حال الذى يعمل عمل الشجعان وهو
ليس بشجاع وذلك ان من باشر الحروب واقدم على ركوب الاهوال لبعض ما يوصل اليه بالمال او بسبب الرغبات

الرغبات التي لا تحصى فان مثل هذا لا يعمل عمل الشجعان ولكن يعمل بطبيعة الشره لا بطبيعة الفضيلة التي تدعى
شجاعة وكل من كان اكثر شرها ونهما كان اكثر شجاعة وذلك انه يخاطر بنفسه للشيء الحقير ويتجشم الاهوال العظيمة طمعا
في المال وما يوصل اليه بالمال وقد راينا اهل الشطارة يعملون عمل الاعفاء وعمل الشجعان ويعدهم الناس من كل فضيلة
وذلك انهم يصبرون عن الشهوات كلها ويصبرون على عقوبات السلاطين وضرب السياط وتقطيع الاعضاء والعذاب
التي لا اشد منها وينتهون فيه الى اقصى الصبر حتى الصلب وسمل الاعين وقطع الايدي والارجل ويضرب بهم المثل الا انهم
التاركين قوم في مثل ما هم من سوء الاختيار ونقصان الفضائل بل قد يعمل ايضا عمل الشجعان من يخاف ولاية يخشى
او عقوبة سلطانه او خوف سقوط جاهه او ما اشبه ذلك وقد يعمل عمل الشجعان ايضا من اتفق له مرار كثيرة ان تظفر
اقرانه فهو يقدم ثقة منه بالعادة الجارية وجهلا بمواقع الاتفاقات وقد يعمل عمل الشجعان العشاق وذلك انهم يركبون
الاهوال في طلب المعشوق لرغبتهم في الفجور وحرصهم على متعة العين منهم لا لطلب الفضيلة ولا لاختيار الموت الجميل على
الحياة الردية كما يفعل الشجاع بالحقيقة فاما شجاعة الاسد والفيل واشباههما من الحيوان فانه يشبه الشجاعة وليست
شجاعة حقيقة وذلك لانها انما وثقت بقوتها وانما تعرف فضل قوتها على غيرها فهي تقدم لا بطبيعة الشجاعة بل بتمام القدرة
والقوة وثقة النفس بالغلبة وما كان منها شبيها بهذه الحال بالصلة في السلاح الذي عدمه غيره وهو كمن يلبس
السلاح متى اذا اقدم على الاعزل وليست هذه شجاعة هذا مع عدم الاختيار الذي يستعمله الشجاع وذلك ان
الشجاع يخشى الحياة القبيحة اكثر من خوفه من الموت فلذلك يختار الموت الجميل على الحياة القبيحة على ان لذة الشجاع
ليست تكون في مبادي امره فان مبادي الامور تكون مؤذية له ولكنها تكون في عواقب الامور وايضا فانه
لا سيما اذا حامى عن دينه وعن اعتقاده التوحيد وعن حماية الله عز وجل والشريعة التي هي سياسة الله
وسنته العادلة التي بها مصالح العباد في الدنيا والآخرة فان مثل هذا اذا فكر في نفسه وتدبر علم انه لا محالة
سيموت بعد ايام قلائل ثم كان حيا الجميل ثابتا على الراي الصحيح فهو لا محالة يحامي عن دينه ويمنع العدو
عن استباحة حريمه والتغلب على مدينته ويانف عن الفرار ويعلم ان الجبان انما اختار الفرار لانه استبقى
شيئا هو الحياة فانها زائلة لا وان تاخر ايام معدودة ثم هو في هذه الحياة اليسيرة مع ذلك سيئ الحال
بالذل وضروب المصائب وما يقاسيه حالة الشجاع مع قوة نفسه اعني مقاومته لشهواته واستيلائه على ما

[illegible]

تلك الحال بعينها واسمع كلام الامام الاجل سلام الله عليه الذي سئل عن حقيقة الشجاعة فقال عليه السلام
ايها الناس انكم ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفس ابن ابي طالب عليه السلام بيده لالف ضربة بالسيف على الراس اهون من موت
على الفراش ومن عرف حد الشجاعة تبين له ان جميع ما احصيناه الان ليس بشجاعة فهو وان كان يشبهها بالصورة
فذلك انه ليس كل من تقدم على الاهوال فهو شجاع ولا كل من خاطر من الفضائح فهو شجاع وكذا من لا يفزع مما
يفزع منه فيصبح [illegible] او عند حدوث الرجفات والزلازل والصواعق ومن الزمانة في الامراض او عند الاحزان
والاسقام او عند اضطراب البحر وهيج الامواج وهو بهذا احق بان يوصف بالجنون مرة وبالقحة مرة اولى من
ان يوصف بالشجاعة وكذلك من خاطر بنفسه في وقت الامن والطمانينة بان يثب من سطح عال او يصعد
من حائط او يحمل نفسه على حوض ماء غزير وهو لا يحسن السباحة او يساور جملا هائجا او يتعرض لسباع او غيرها
لم يامن من غير ضرورة تدعوه الى ذلك بل مراآة بالشجاعة واظهار القوة النفسية فان مثل هذا بان يسمى [illegible]
اولى منه بان يسمى شجاعا فاما من خاف على نفسه خوفا من الفقر والذل واهلكها بالسوء وما اشبهه مما يصير
اليه فهو بان يوصف بالجبن اولى منه بان يوصف بالشجاعة وذلك ان الاقدام وقع منه بطبيعة الجبن
لا بطبيعة الشجاعة فان الشجاع يصبر على ما يلحقه من الشدائد صبرا جميلا ويعمل ما لا يليق بتلك الحال كما شرحنا
فيما تقدم ولذلك يجب ان تسلم الشجاع وتشح على نفسه وتشفق على السلطان خاصة والقيم بامر الدين والملك
ان ينافس فيه ويبخل بمثله ويعلي خطره ويميزه من كل من يتشبه به ممن ذكرنا **فقد تبين من جميع**
ما قلناه ان الشجاع هو الذي يستهين بالشدائد في الامور الجليلة ويصبر على الاحوال الهائلة ويستخف
بما يستعظمه عوام الناس حتى بالموت اذا اختار الامر الافضل ولا يجزع على ما لا يدرك منه ولا يضطرب
عند ما يتقدمه من المصائب ويكون غضبه اذا غضب بمقدار ما يجب على من يجب في الوقت الذي يجب وكذلك
يكون انتقامه على هذه الشرائط فان الحكماء قالت ان من لا ينتقم [illegible] من الناس
وهذا الانتقام اذا كان بحسب الشجاعة كان محمودا لكنه اذا لم يكن كذلك كان مذموما **وقد نقل** الناس الاحاديث
المأثورة عن [illegible] سلطان [illegible] ان ينتقم [illegible] نفسه [illegible] الملوك [illegible]
وكما قال من اقدم على [illegible] الذي لا يستطيع [illegible] لان الانتقام منه [illegible]

المعروف وإذن ليس يقتر شرائط الشجاعة والعفة إلا المتكبر الذي يستعمل كل شيء في موضعه الخاص وبقدر ما يستحق الفعل له
فكل شجاع عفيف فهو حكيم فكل حكيم شجاع فهو عفيف وهذه الحال بعينها تظهر في من يعمل عمل الأسخياء وليس بسخي
وذلك أن من يبذل المال في سبيل الشهوات أو طلباً للسمعة والرياء وتقرباً إلى السلطان أو لدفع مضرة عن نفسه وحرمه
أو أولاده أو يبذله لمن لا يستحق من أهل الشر والملهين والمساخرة أو يبذله للطمع في أكثر منه على سبيل التجارة والمراباة
فكلهم لا يعمل عمل الأسخياء وليس يسمى ما يبذله فيبذل ما له بطبيعة الشر وأما بعضهم فبطبيعة الطمع
والرياء وأما بعضهم فعلى طريق [illegible] من المال والتبجح فيه وأما بعضهم فعلى سبيل التبذير وقلة المعرفة بقدر
المال وهذا أكثر ما يعرض للوارثين ومن لا يتعب باكتساب المال ولا يعرف صعوبة الأمر فيه وذلك أن المال
صعب الاكتساب سهل الإنفاق وقد شبه الحكماء من يرتقي بحمل الأثقال إلى قلة جبل ثم يرسله فإن الأمر فيه
وإصعاده صعب [illegible] إرساله [illegible] أهل الحاجة إلى المال ضرورية في المعيش [illegible] وإظهار الحكمة في الفضيلة
ومن كلف [illegible] جمعه يصعب عليه وذلك أن المكاسب الجميلة قليلة ووجوهها يسيرة عند الرجل العادل الحر فأما غير العادل
فليس يبالي كيف اكتسبه ومن أين وصل إليه ولأجل ذلك يوجد كثير من الأحرار الفضلاء ناقص الحظ منه [illegible]
أيضاً [illegible] الفضلاء [illegible] أضدادهم فلأجل أنهم يكتسبون المال من وجوه الخيانات لا يبالون كيف وصل
إليهم [illegible] أذى [illegible] وأسوأ النفقات [illegible] والعامة يغبطونهم ويحسدونهم [illegible]
العاقل [illegible] يرى [illegible] المرض [illegible] يتدنس بالقبيح من المكاسب ولم ينظر إليه
[illegible] ووجوه الفساد والفضائح كالقيادة والخداع [illegible] السلع القبيحة
على الملوك [illegible] بالخدع والمكر [illegible] يحسن القبائح مما [illegible]
[illegible] النميمة والغيبة [illegible] المال من غير وجهه [illegible]
[illegible] من المال [illegible] لا ينفصل [illegible]
الأموال المكتسبة [illegible] الأموال [illegible] كذلك [illegible]
[illegible] الكرامة [illegible]
[illegible] الذي يتفضل [illegible]

الى نسبة نفسها الى خرجه فانه يجب من ذلك بمثل ذلك كما قلنا وشرحنا واما العدل الحقيقى فالذى به اجزاء النفس

واحواله كلها حتى لا يزيد بعضه على بعض فى خصوص ذلك فاذا خارج عنه من المعاملات و الكرامات ويفسد في جميع

فضيلة العدالة نفسها لاعراضا النفس واما مثلها من ذلك اذا كانت لوهيئة نفسانية او هيئة بهيئة العدالة كلها

ولما كانت العدل المتوسط ابين طرفين وهيئة متعادلة بها يعدل الزائد والناقص له صارت اتم الفضائل واشرفها

واعنى بذلك ان الوحدة هى التى لها الشرف الاعلى والرتبة القصوى وكل كثرة لا ينظمها معنى يوحدها فلا اعتدال لها

والزيادة والنقصان والكثرة والقلة هى التى افسدت الاشياء اذا لم يكن بينها مناسبة يحفظ عليها الاعتدال بوجه ما

هو الذى يرد اليها ظل الوحدة ومعناها وهو الذى يلبسها شرف الوحدة ويزيل عنها رذيلة الكثرة والتفاوت والكثرة

الذى لا يحد ولا ينضبط بالمساواة التى هى خليقة الوحدة فى جميع الكثرات ويشتق هذا الاسم من ذلك على معناه

ان العدل فى الاعمال والاعتدال فى الافعال والعدل فى الاعمال مشتقة من معنى المساواة والمساواة هى

اشرف النسب المذكورة فى صناعة الموسيقى وغيرها ولذلك لا ينحصر ولا يوجد فيها انواع وانما هى وحدة فى معناها

او ظل الوحدة واذا لم يجد المساواة التى هى المثل بالحقيقة فى الكثرة عدلنا الى النسب المذكورة التى يعمل اليها ويرد الى

حقيقتها وذلك انا حينئذ نضطر الى ان نقول نسبة هذا الى هذا كنسبة هذا الى هذا ولهذا لا يوجد النسبة الا بين

اربعة او ثلاثة يتكرر فيها الوسط فيصير ايضا اربعة والنسبة الاولى تسمى منفصلة والثانية تسمى متصلة ومثال

الاولى انا اذا اخذنا الاولى اربعة فنقول نسبة ا الى ب كنسبة ج الى د فهذه النسبة منفصلة ومثال الثانية

ان ناخذ الباء مشتركا فنقول نسبة ا الى ب كنسبة ب الى ج وهذه النسبة يوجد فى ثلثة اشياء وهى النسبة العددية

والنسبة المساحية والنسبة التاليفية وجميع ذلك مبين مشروح فى الحجم الذى عملناه فى صناعة الارثماطيقى وفيها

سائر النسب والحاجة اليها ولذلك عظمها الاوائل واستعملها فى جميع العلوم الجمة الشريفة ولا كتب الحاجة الى الاخذ بها

المعاملات حفظ هذه النسب لاجل انها الكثيرة التى لا تبقى الا على ما بها اليها وفيها احتياج الى المعاملة

الحاجة الى ذلك في الاموال والكرامات التى بها قسمة المعاملات والقسمة التالية في الحاجة الى حفظ الاحكام

التى وقع فيها الظلم والتعدى واما العدل الذى يكون فى القسمة والحكومات فبالنسبة المنفصلة التى بين الاربعة

اعنى ان يكون نسبة الاول الى الثانى كنسبة الثالث الى الرابع مثال ذلك ان يقال ان نسبة ...

الانسان الى هذه الكرامة او الى هذا المال كنسبة كل من كان فى مثل مرتبته الى مثل قسطه فاذن يجب ان توفر
عليه ويسلم اليه فاما ما ياتى فى الامور التى تكون فى القسم الثانى اعنى المعاملات فيكون بالنسبة المنفصلة مركبة بالنسبة المتصلة
الاخرى مثال ذلك ان تقول ان نسبة هذا البزاز الى هذا الاسكاف كنسبة هذا الثوب الى هذا الخف ثم ليس يمنع
مانع ان تقول ان نسبة البزاز الى الاسكاف كنسبة الاسكاف الى النجار او تقول نسبة الثوب الى الخف كنسبة الخف الى الكرسى
ويتبين لك من هذين المثالين ان النسبة الاولى تكون بالعموم فقط والنسبة الثانية بالعرض والعموم جميعا اعنى
ان الاولى تقع بين الكليين والجزئيين فهو بالعموم اشبه وذلك ان الانسان متى كان على نسبة من انسان آخر فبطل هذه النسبة
بحيف وضرر يلحقه به فان العدالة توجب ان يلحق به ضررا مثله ليعود التناسب الى ما كان عليه فالعادل من شانه ان يساوى
بين الاشياء غير المتساوية مثال ذلك ان الخط اذا قسم بقسمين غير متساويين نقص من الزائد وزاد على الناقص
حتى يحصل له التساوى ويذهب عنه معنى القلة والكثرة ومعنى الزيادة والنقصان وكذلك الخفة والثقل وجميع ما اشبه ذلك
ولكن ينبغى ان يكون عالما بطبيعة الوسط حتى يرد الطرفين اليه مثال ذلك الربح والخسران فانهما فى باب المعاملات
طرفان احدهما زيادة والآخر نقصان فان اخذ اقل مما يجب صار الى جانب النقصان وان اخذ اكثر مما يجب كان
خارجا الى جانب الزيادة والشريعة هى التى ترسم فى كل واحد من هذه الاشياء التوسط والاعتدال ولان الناس
هم مدنيون بالطبع ولا يتم لهم عيش الا بالتعاون فبعضهم يجب ان يخدم بعضا ويأخذ بعضهم من بعض ويعطى
بعضهم بعضا فهم يطلبون المكافاة على المناسبة فاذا اخذ الاسكاف من النجار عمله واعطاه عمله فهى المعارضة اذا
كان العملان متساويين ولكن ليس يمنع مانع ان يكون عمل الواحد خيرا من عمل الآخر فيكون الدينار بينهما المقوم
او المساوى بينهما فالدينار هو عدل ومتوسط الا انه ساكت والانسان الناطق هو الذى يستعمل ويقوم به
جميع الامور التى تكون بالمعاملات حتى تجرى على استقامة ونظام ومناسبة صحيحة عادلة فلذلك يستعان
بالحاكم الذى هو عدل ناطق اذا لم يستقم الامر بين الخصمين بالدينار الذى هو عدل ساكت وارسطو يقول
ان الدينار ناموس عادل ومعنى الناموس فى لغته السياسة والتدبير وما اشبه ذلك فهو يقول فى
كتابه المعروف بنيقوماخيا ان الناموس الاكبر هو من عند الله تبارك وتعالى والحاكم ناموس ثان من قبله
والدينار ناموس ثالث فناموس الله تعالى قدوة النواميس يعنى الشريعة والحاكم الثانى مقتد به والدينار مقتد ثالث

وانما قومت الاشياء المختلفة بالاثمان المختلفة ليصح الشركات والمعاملات وتبين بالاسناد الطبيعي ان
فالذي يساوي بين المختلفات ويزيد في شيء وينقص من آخر حتى يحصل بينهما الاعتدال فيستوي المعاملة بين الفلاح والنجار
مثلا وهذا هو العدل المدني وبالعدل المدني عمرت المدن وبالجور المدني خربت المدن فانه ليس ينبغي ان من يكون عمله
يسيرا يساوي عملا كثيرا ومثال ذلك ان المهندس يتفكر نظرا قليلا ويعمل عملا يسيرا يساوي نظره هذا عملا كثيرا
اقوام يكدحون بين يديه ويعملون ما يوجههم وكذلك صاحب الجيش يكون تدبيره ونظره يسيرا لكنه يساوي اعمالا كثيرة يعملونها
بين يديه ويحمل الاعمال الثقيلة المضنية فاما الجائر ويبطل التساوي فهو عند ارسطاطاليس من ثلاث منازل فالجائر
الاعظم هو الذي لا يقبل الشريعة ولا يدخل تحتها والجائر الثاني هو الذي لا يقبل قول الحاكم العادل في معاملاته
اموره كلها والجائر الثالث هو الذي لا يكتسب ويغصب الاموال فيعطي نفسه اكثر مما يجب وغيره اقل مما يجب قال
فالمتمسك بالشريعة يعمل بالطبيعة للمساواة ويكتسب الخير والسعادة من وجوه العدالات لان الشرع يامر بالاشياء المحمودة لانه
صدر عن الله فهو لا يامر الا بالخير والاشياء التي تفعل السعادة وهو ايضا ينهى عن الرذائل الذميمة ويامر ايضا بالشجاعة و
حفظ الترتيب والثبات في صف الجهاد ويامر بالعفة وينهى عن الفسق والافراط والشتم والهجر وبالجملة يامر بجميع الفضائل وينهى عن
جميع الرذائل فالعادل يستعمل العدالة في نفسه وفي شركائه المدنيين والجائر يستعمل الجور في ذاته وفي اصدقائه ثم في جميع شركائه
المدنيين قال وليست العدالة جزءا من الفضيلة بل هي الفضيلة كلها والجور الذي هو ضدها ليس جزءا من الرذيلة لكنها
الرذيلة كلها وبعض انواع الجور ظاهر ويفعل بالارادة مثل ما يكون في البيع والشرى والكفالات والقرض والعارية
وبعضها خفي يفعل ايضا بالارادة مثل السرقة والفجور ومثل القيادة وخداع المماليك وشهادة الزور وبعضها يغشى
على سبيل التغلب مثل التعذيب بالرهن والقيد والاغلال والغربة فالامام العادل الحاكم بالشريعة يبطل هذه
الانواع ويخلف صاحب الشريعة في حفظ المساواة فهو لا يعطي ذاته من الخيرات اكثر مما يعطي غيره ولذلك قيل في الخبر
ان الخلافة تطهر الانسان قال فاما السامعة فانها ينحل مرتبة الامامة اعني الخلافة من كان شريفا
في جنسه ونسبه وجنسهم بل لذلك من كان حكيما فاضلا فان بالحكمة والفضيلة هي التي تعطي الانسان
الرياسات والسيادات الحقيقية وهي التي رتبت الاول والثاني في مرتبتهما وفضيلتهما واسباب المضرات كلها
تنقسم الى اربعة انواع احدها الشهوة ويتبعها الرحامة والثاني الشرارة ويتبعها الجور والثالث الخطأ

[illegible]

يتصل بسببها الحزن والرابع الشقاء ومثاله جميعا فيما يتفق من الشهوة فانه فعل الانسان على الاختيار لغيره الا انه
لا يكون بتمييز له ولا بتدبير لكنه يفعل الشين بالشهوة وبما كان متأملا بركا رماله الا ان قوة الشهوة تحمله
على ارتكاب ما يرتكب بما الشر فيخرج منه لا اختيارا لغيره على سبيل الايثار له والالتذاذ به كمن يسوق الى السلطان
ونحوه من الانامل فيه لا يصل اليه منها شئ لكن يلتذ بالمكر به الذى يصل الى غيره واما الخطا فان صاحبه لا يقصد
الاضرار بغيره ولا يتحرى ولا يلتذ به بل يقصد فعلا ما فيعرض منه فعل آخر صاحب الفعل يحزن ويكتسب له التوقى عليه
من الخطا واما الشقاء فصاحبه لا يلومن من فعله ولا له فيه صنع بالقصد لكن يقع فيه سبب من خارج
وذلك كمن يصدم به دابته المرء صديقا له فيقتله او يرمى بسهم الى صيد فيصيب انسانا فهذا السبب شقيا
وهو من جهة معذور لا يجب عليه عتب ولا عقوبة فاما السكران والغضبان والغيران اذا فعلوا فعلا قبيحا فانهم
يستحقون العتب والعقوبة لان سببا اضطرهم اليهم وذلك ان السكران يختار ازالة عقله والغضبان والغيران
يختاران الانقياد لما بين القوتين اذا هاجتا به ونعود الى ما كنا فيه من ذكر العدالة **فنقول** ان ارسطو
قسم العدالة الى ثلثة اقسام احدها ما يقوم به الناس لرب العالمين وهو ان يجرى الانسان فيما بينه
وبين الخالق عز وجل على ما ينبغى وبحسب ما يجب وكما يجب عليه من حقه وبقدر طاقته وذلك ان العدل اذا
كان هو اعطاء من يجب ما يجب كما يجب فمن المحال ان لا يكون لله تعالى الذى وهب لنا هذه الخيرات العظيمة
ما ينبغى ان يقوم به الناس والثانى ما يقوم به بعض الناس لبعض من اداء الحقوق وتعظيم الرؤساء
وتادية الامانات والنصفة فى المعاملات والثالث ما يقومون به من حقوق اسلافهم مثل قضاء الديون
عنهم وانفاذ وصاياهم وما اشبه ذلك فهذا ما قاله ارسطو اليق بتحقيق ما قاله مما يجب لله عز وجل
وان كان كلامنا فانا نقول فيه ما يليق بهذا الموضع وهو ان العدالة لما كانت يظهر فيها الاخذ والاعطاء
وفى الكرامات التى ذكرناها وجب ان يكون لما يصل الينا من عطيات الخالق عز وجل ونعمه التى لا تحصى
نقابل عليه وذلك ان من اعطى خيرا ما وان كان قليلا ثم لم ير ان يقابله بضرب من المعاملة فهو ... ما يكيف
به اذا اعطى ... اشياء ثم لم يعط فى مقابلته شيئا البتة ثم على قدر النعم التى يصل الى الانسان
يجب ان يكون الاجتهاد فى المقابلة عليها ومثال ذلك ان الملك الفاضل اذا احسن السيرة وبسط العدل

فأولى سع العمارة وحمى الحريم وذب عن الحوزة ومنع من المظالم ووفر الناس على ما يشغلهم من مصالحهم ومعايشهم فقد
احسن الى كل واحد من رعيته احسانا يخصه فى نفسه وان كان قد عمهم بالجبر واستحق من كل واحد منهم ان يقابله
ضربا من المعاملة متى فقد كان جائرا اذ كان يأخذ نعمته ولا يعطيه شيئا لكن مقابلة الملك من جهة رعيته انما يكون
باخلاص الدعاء ونشر المحاسن وجميل الشكر وبذل الطاعة وترك المخالفة فى السر والعلانية والمحبة الصادقة واتمام
سيرته بحسب استطاعته والاقتداء به فى تدبير منزله واهله وولده وعشيرته فان نسبة الملك الى مدينته ورعيته
كنسبة صاحب المنزل الى منزله واهله فمن لا يقابل ذلك الاحسان بهذه الطاعة والمحبة فقد جار وظلم وهذا
الجور والظلم انما كان فى مقابلة النعم الكثيرة افحش واقبح ونعلم ان الظلم وان كان فى نفسه قبيحا فان مراتبه
كثيرة لان مقابلة كل نعمة انما يكون بحسب منزلها وموقعها وتعدد فوائدها وعائدتها وعلى مقدار عددها فان كانت
النعم كثيرة العدد عظيمة الموقع فكيف يكون حال من لا يلتزم لها حقا ولا يرى عليها مقابلة بطاعة ولا شكر ولا
محبة صادقة ولا مساعاة صالحة واذا كان هذا امرا منكرا واجبا غير مجحود فى ملوكنا وروسائنا فكيف الحرى ان يكون
لملك الملوك الذى يصل الينا فى كل يوم بل فى كل طرفة عين فيض احسانه الفائض على اجسامنا ونفوسنا التى
لا يقع عليها احصاء ولا حد من الحقوق التى تجب علينا القيام بها والنهوض بتاديتها اترى نجهل النعم الاولى علينا
بالوجود فترتيبها متواترة بعد ذلك بالخلق الجسدانى الذى افنى فيه صاحب كتاب التشريح ومنافع الاعضاء نحو
الف ورقة ثم لم يبلغ بعض ما عليه كنه الامر اترانا نجهل ما وهب لنا من نفوسنا وما ركب فيها من القوى والملكات
التى لا نهاية لها وما امدها من فيض العقل ونوره وبهائه وبركاته وما عرضنا به للملك الابدى والنعيم
السرمدى لا لعمرى ما نجهل هذه النعم الا النعم فاما الانسان فيعرف من ذلك ما يضطر اليه مشاهدة
الخيال فى جميع اوقاته واذا كان الخالق تعالى غنيا من عبوديتنا ومساعينا فمن المحال القبيح والجور الفاحش
ان لا نلتزم نحن له حقا ولا نقابله على هذه الالاء والنعم بما نزيل عنا سمة الجور والخروج عن شريطة العدل
الا ان ارسطاطاليس فى هذا الموضع لم ينص على العبادة التى يجب ان يلتزمها لخالقنا عز وجل غير انه قال
ما هذه حكاية وقد اختلف الناس فيما ينبغى ان يقوم به المخلوقون لخالقهم تعالى جلاله فبعضهم
راى انه صلوات وصيام وخدمة هياكل ومصليات وقرابين وبعضهم راى ان يقتصر على

على الاخرار بوبهيته ولا اعترفوا بالخضاله وبجيله الحلت بطاعته وبعضهم راى ان يتقرب اليه بان يحسن الى نفسه بتزكيتها وحسن سياستها او الاحسان الى المستحقين من اهل نوعه بالمواساة او بالحكمة والموعظة وبعضهم راى ان الجميل الفكر فى الالهيات التصرف عن الجبارلات التى يتزيد بها الانسان من معرفة ربه عز وجل حتى يتحاصل به معرفته بحقيقة وحدانيته ومعرفة الوكد اليه وهو ما يجب على الانسان لخالقه عز وجل وبعضهم رأى ان الواجب لله عز وجل على الناس ليس سبيله واحدا ولا هو شئ بعينه يلتزمه الجميع التزاما واحدا على مثال واحد ولكنه يختلف بحسب اختلاف طبقات الناس ومراتبهم من العلم فهذا ما قاله ارسطاطاليس بالفاظه المنقولة الى العربية فاما ما قاله الحذاق من الفلاسفة فانهم قالوا عبادة الله عز وجل فى ثلثة انواع احدها فيما يجب على الابدان كالصلوة والصيام والسعى الى المواقف الشريفة لمناجاة الله عز وجل والثانى فيما يجب له على النفوس كالاعتقادات الصحيحة مثل العلم بتوحيد الله تعالى وما يستحقه من الثناء والمجد وكالفكر بما افاضه الله على العالم من وجوده وحكمته ثم الاتساع فى هذه المعارف والثالث فيما يجب عنده مشاركات الناس فى المدن وهى فى المعاملات والمزارعات والمناكح وفى تادية الامانات ونصيحة البعض للبعض بضروب المعاونات وعند جهاد الاعداء والذب عن الحريم وحماية الحوزة قالوا فهذه العبادات هى الطرق المؤدية الى الله عز وجل وهى التى يجب له على عباده وقال اخرون عبادة الله فى ثلاث وهى الاعتقاد الحق وقول الصواب والعمل الصالح ثم ان العمل ينقسم الى البدن كالصيام والصلوة والى ما هو خارج عن البدن كالمعاملات والجهاد ثم ان المعاملات ينقسم الى المعاوضات والمناكح والمعاونات وهذه الانواع وان كانت معدودة محصورة فانها منقسمة الى انواع كثيرة واقسام غير محصاة وللانسان فيها مقامات ومنازل عند الله فالمقام الاول للموقنين وهو رتبة الحكماء واجلة العلماء والمقام الثانى هو مقام المحسنين وهو رتبة الذين يعملون ما يعلمون وهو ما ذكرناه فى كتابنا هذا من الفضائل والعمل بها والمقام الثالث مقام الابرار وهو رتبة الصالحين وهولاء هم خلفاء الله عز وجل بالحقيقة فى اصلاح العباد والبلاد والمقام الرابع مقام الفائزين وهو رتبة المخلصين فى المحبة واليها ينتهى رتبة الاتحاد وليس بعدها منزلة ولا مقام لمخلوق وليصعد الانسان بهذه

المنازل اذا حصلت له اربع خلال اولها الحرص والنشاط والثاني العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية والثالث
الحياء من الجهل ونقصان الروحية اللذين يحدثان بالاهمال والرابع هذه الفضائل والترقي فيها دائما
فهذه اسباب الاتصال بهذا انقطاعات عن الله عز وجل وسقاطه وهي التي يعرف بالعاين فاولها السقوط الذي يستحق
به الاعراض ويتبعه الاستهانة والثاني السقوط الذي يستحق به الحجاب ويتبعه الاستخفاف والثالث السقوط الذي يستحق
به الطرد ويتبعه المقت والرابع السقوط الذي يستحق به الحجب ويتبعه البغض وانما يشقى العباد اذا حصل على اربع
خلال اولها الكسل والبطالة ويتبعهما ضياع الزمان وفناء العمر بغير فائدة انسانية والثانية الغباوة والجهل
المتولدان عن ترك النظر ورياضة النفس بالتعاليم التي احصيناها في كتاب ترتيب السعادات والثالثة الوقاحة التي تتبعها
اهمال النفس فانبعثت الشهوات وترك ضبطها عن ركوب الخطايا والسيئات والرابعة الانهماك الذي يحدث عن
الاستمرار في القبائح وترك الانابة وهذه الانواع الاربعة مسماة في الشريعة باربعة اسماء فالاول هو الزيغ والثاني
هو الرين والثالث هو الغشاوة والرابع هو الختم ولكل واحدة من هذه الشقاوات علاج خاص سنذكره عند مداواة
اسقام النفس حتى تعود الى الصحة باذن الله عز وجل وهذه الاشياء التي عددناها الان لا خلاف بين الحكماء
فيها وبين اصحاب الشرائع وانما يختلف بالعبارات والاشارات اليها بحسب اللغات وافلاطون يقول ان العدالة
اذا حصلت للانسان اشرق بها كل واحد من اجزاء النفس على كل واحد منها وذلك بحصول فضائلها اجمع فيها
فحينئذ ينهض النفس فيؤدي فعلها الخاص بها على افضل ما يكون وهذا غاية قرب الانسان السعيد من الله تقدس
اسمه قال والعدالة توسط ليس على جهة التوسط الذي في الفضائل التي تقدم ذكرها لكن لانه في الوسط
الجور في الطرفين وانما صار الجور في الطرفين لانه زيادة ونقصان معا وذلك ان من شان الجور ان يطلب الزيادة
والنقصان معا اما الزيادة فمن النافع على الاطلاق واما النقصان فمن الضار ولذلك يكون الجائر مستعملا
للزيادة والنقصان معا اما لنفسه فيستعمل الزيادة من النافع واما لغيره فيستعمل النقصان منه واما في الضار
فبالضد وعلى العكس من ذلك اما لنفسه فيستعمل النقصان واما لغيره فيستعمل الزيادة فالفضائل التي جعلنا انها
اوساط بين الرذائل هي غايات ونهايات وذلك ان الوسط ايضا غاية لها من كل وجهة فهو في غاية البعد
منها ولذلك من بعد عن الوسط زيادة بعد قرب من رذيلة كما قلنا فيما تقدم فقد تبين من جميع ما

مخصوصة الغضب الفاضلة معتدلات وان العدالة لسمو شرفها وعموم نفعها كان الشريعة انما كانت بقوانين الافعال الاعتيادية
التي تقع بالروية وبالوضع الالهي وان المتمسك بها في معاملاته عدل والمخالف لها جاير فلهذا قلنا ان العدالة لقب المتمسك
بالشريعة الا انا قد قلنا مع ذلك انها هيئة نفسانية يصدر عنها هذه الفضيلة فتصور هذه الهيئة النفسانية فانها
ستري روية واضحة ان صاحبها ينقاد لاحكام الشريعة طوعا ولا تضادها بنوع من انواع التضاد وذلك انه اذا حافظ
على المناسبات التي ذكرناها الا انها مساواة واثرها على حالة الراي فيها على سبيل الاختيار لها والرغبة فيها وجبت
عليه موافقة الشريعة وترك مخالفتها واقل ما يكون المساواة بين اثنين ولكنها يكون في معاملة مشتركة بينهما
وهي الشيء الثالث وربما كان شيئين كما قلنا فيصير المناسبات بين اربعة كما قلنا وينبغي ان يعلم ان هذه الهيئة
النفسانية غير الفعل وغير المعرفة وغير القوة اما الفعل فلانا قد بينا انه قد لا يقع عن هيئة نفسانية
كمن يعمل اعمال العدالة وليس بعادل وكمن يعمل اعمال الشجاعة وليس بشجاع واما القوة والمعرفة فلان كل
واحدة منهما هي بعينها للضدين معا فان العلم بالضدين واحد وكذلك القوة على الضدين قوة واحدة فاما
الهيئة القابلة لاحد الضدين فهي غير الهيئة القابلة لضده الاخر ومثال ذلك هيئة الشجاع فانها غير هيئة
الجبان وكذلك هيئة العفة غير هيئة الشره وهيئة العدالة غير هيئة الجور ثم ان العدالة والحرية يشتركان
في باب المعاملات والاخذ والاعطاء الا ان العدالة يقع في اكتساب المال على الشرائط التي قدمنا القول فيها
والحرية يقع في انفاق المال على الشرائط التي ذكرناها ايضا ومن شان من يكتسب ان ياخذ فهو بالمنفعل اشبه ومن
شان المنفق ان يعطي فهو بالفاعل اشبه فلذلك العادل يكون محبة الناس للحر اشد من محبتهم للعادل الا ان نظام
العالم بالعدالة اكثر منه بالحرية وخاصية الفضيلة هي في فعل الخير لا في ترك الشر وخاصية محبة الناس هي
في بذل المعروف لان جميع المال فالحر لا يكرم المال ولا يجمعه لذاته بل لتصرفه في وجوهه التي يكتسب بها المحامد
المحامد ومن خاصيته ان لا يكون كثير المال لانه منفاق ولا يكون ايضا فقيرا لانه كسوب من حيث ينبغي وهو غير مسكا
عن الكسب لانه بالمال يصل الى فضيلة الحرية ولذلك لا يضيع المال ولا يستعمل فيه التبذير ولا ايضا يبخل
به فلا يستعمل التقتير فكل حر عادل وليس كل عادل حرا وفي هذا الموضع مسئلة عويصة سال عنها الحكماء
انفسهم ولم يطلبوا لها جوابا مقنعا ويمكن ان يجاب فيه بجواب اخر ولستدرك ما يجب ان يذكر الجميع ومن شان

ان يقال فنقول اذا كانت العدالة فعلا اختياريا باستعمال الملعا العادل ويقصد به تحصيل الفضيلة لنفسه فالجهل والظلم
فيجب ان يكون الجور فعلا اختياريا باستعمال الملعا الجائر ويقصد به تحصيل الرذيلة ومذمة الناس ومن القبيح الشنيع ان يظن
بالانسان العاقل انه يقصد الاضرار بنفسه بعد الروية وعلى سبيل الاختيار فاما جوابهم عن ذلك وحلهم لهذا الشك فانهم
قالوا ان من ارتكب فعلا يؤدي به الى ضرر وعذاب ثم تركه لميل النفس وصار الهاجس حيث يقدر ولم يتعهده رواية
لسوء اختياره وترك مشاورة العقل فيه ومثال ذلك الحاسد فانه ربما يجني على نفسه الضرر الجليل الاضرار بنفسه بل لا
يظن انه نفعها بالعاجل في الخلاص من الاذى الذي يلحقه من الحسد فهذا جواب القوم فاما الجواب الآخر فهو ان
الانسان لما كان ذا قوى كثيرة يسمى لمجموعها انسانا واحدا لم ينكر ان يصدر عنه افعال مختلفة بحسب تلك القوى
وانما المنكر ان يكون الشيء الواحد البسيط ذو القوة الواحدة يقع بتلك القوة افعال مختلفة لا بحسب الآلات المختلفة ولا
بقدر القابلات منه بل بتلك القوة الواحدة فقط فهذا لعمري منكر شنيع ولكن الانسان قد تبين من حاله ان له
قوى كثيرة ويعمل بكل قوة عملا اخر لا يعمله بالاخرى اعني ان صاحب الغضب اذا استشاط يختار افعالا لا يختارها اذا
كان ساكنا وادعا وكذلك صاحب الشهوة الهائجة وصاحب الشهوة الطرب فان من شان هؤلاء ان يستجيزوا
الفعل الشنيع في تلك الحال ولا يستبشرونه وكذلك هذا العاقل اذا تغيرت احواله تلك فصار من الغضب الى الرضا
ومن السكر الى الافاقة تعجب من نفسه وقال ليت شعري كيف حضرت تلك الافعال القبيحة فيلحقه الندم وانما
ذلك لان القوة التي هيجته تدعوه الى ارتكاب فعل يظنه في تلك الحال صالحا جميلا بملائمته لحركة القوة الهائجة
فاذا سكن عنها ورجع عقله ورأى قبح ذلك الفعل وفساده وقوى الانسان التي تدعوه الى ضروب الشهوات وبعضه
الكرامات التي لا يحصيها كثيرة جدا فهو بحسب قواه الكثيرة يكون افعاله كثيرة فاذا اتفق للانسان ان يكون لسيرته
فاضلة ولم يقدم على شيء من افعاله الا بعد مطالعة العقل الصحيح وبعد مراعاة الشريعة القويمة كانت افعاله
كلها منتظمة غير مختلفة ولا خارجة عن سنن العدل اعني المساواة التي قدمنا القول فيها ولهذا السبب قلنا
ان السعيد هو من اتفق له في صباه ان يأنس بالشريعة ويستسلم لها ويتعود جميع ما تأمر به حتى اذا بلغ مبلغ الذي
يمكنه معه ان يعرف الاسباب والعلل ونظائر الحكمة وجدها موافقة لما تقدمت عادته به فاستحكم رايه وقويت
بصيرته ونفذت عزيمته وههنا مسئلة هي اشد من الاولى وهو ان الفضل محمود جدا وليس يقع فضت

تحت العدالة لان العدالة كما ذكرنا مساواة والتفضل زيادة وقد حكمنا ان العدالة تجمع الفضائل كلها ولا مزيد
عليها بل يجب ان يكون الزيادة عليها مذمومة كما ان النقصان عنها مذموم ليكون شرف الوسط الذي تقدم وصفه
في سائر الاخلاق خاصة للعدالة فالجواب عنها ان التفضل احتياط يقع من صاحبه في العدالة ليأمن وقوع النقص
في شيء من شرائطها وليس الوسط في كل طرفين من الاخلاق على شريطة واحدة وذلك ان الزيادة في باب السخاء
لما لم يخرج الى التبذير احسن من النقصان عنه واشبه بالمحافظة على شرائطه حتى يصير كالاحتياط عليه فاما
العفة فان النقصان من الوسط فيها احسن من الزيادة عليه واشبه بالمحافظة على شرائطه وابلغ في الاحتياط عليه
اخذ الحزم فيه ومع ذلك فليس يستعمل التفضل الا حيث يستعمل العدالة اعني بذلك ان من اعطى ماله من لا يستحق شيئا منه او
مساواة من يستحقه لا يسمى متفضلا بل مضيعا وانما يكون متفضلا اذا اعطى من يستحق كما يستحق ثم زاد تفضلا وهذه الزيادة
ليست من الزيادة التي ذكرناها في باب السخاء لان تلك الزيادة ذهاب الى الطرف الذي يسمى تبذيرا وهو مذموم
ويعرف ذلك من وجدها وهو بذل ما لا ينبغي لمن لا ينبغي على الوجه الذي لا ينبغي فاذن التفضل غير خارج عن شرط
العدالة بل هو محتاط عليها ولذلك قيل ان المتفضل اشرف من العادل فقد بان ان التفضل هو العدالة بل هو العدالة
مع الاحتياط فيها وكانه مبالغة لا يخرجها عن معناها لان هذه الهيئة النفسانية ليست غير تلك الهيئة بل هي هي
فاما الاطراف التي هي رذائل اعني الزيادة والنقصان التي سبق القول فيها ففي كلها هيئات مذمومة غير الهيئات المحمودة
هذه الاشياء هي التي يحصل لك معانيها ومشاركة بعضها البعض ومباينة بعضها البعض ايضا فان الشريعة تامر بالعدالة امرا كليا ولم
تنظر الى الجزئيات واعني بذلك ان العدالة التي هي المساواة تكون مرة في باب الكم ومرة في باب الكيف
وفي سائر المقولات وبيان ذلك ان نسبة الماء الى الهواء مثلا ليست تكون بالكمية بل بالكيفية ولو كان
بالكمية لوجب ان يكونا متساويين في المساحة ولو كانا كذلك لتغالبا واحال احدهما الآخر الى ذاته
وكذلك النار والهواء ولو لم تتعادل العناصر بعضها ببعض لفني العالم في ادنى مدة ولكن البارئ تقدس اسمه
عدل بين هذه بالقوة فقط وهي متقاومة ليس يغلب احدهما الآخر بالكلية وانما يحيل الجزء منها الجزء في الاطراف
اعني حيث يلتقي نهاياتها فاما كلياتها فلا يقدر على كلياتها الا ان قواها متساوية متعادلة على غاية
السوية والتعادل وبهذا النوع من العدل قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض ولو رجح احدهما

على الآخر بارادة تنبغي للاعمال الزايد الناقص وقضى عليه بفضل الكلام فسمّاها القاضي بالقسط الالهي
العزيز الحكيم فلما كانت الشريعة تامر بالعدالة الكلية لم تامر بالتفضل الذي بل ندبت اليه ندبا ليستعمل في جزئيات
التي لا يمكن ان تعين عليها لانها بلا نهاية وهو بمنزلة التوقي في العدالة الكلية لانها تفسخ ولا يمكن ان تعين عليها
وقد تبين ايضا مما قدمناه ان التفضل انما يكون في العدالة التي تخص الانسان في نفسه من تسوية المعاملة
او فيما بينه وبين غيره من الاستظهار فيه والاحتياط عليه بما يكون تفضلا ولو كان ما كان بين قوم ولا نصيب
له في تلك الحكومة فيجري له التفضل ولم يسعه الا العدل المحض والتسوية الصحيحة بلا زيادة ولا نقصان
وتبين ايضا ان الهيئة التي يصدر عنها الافعال العادلة متى ثبتت لصاحبها سميت فضيلة ومتى لم تثبت
الى ان يعمل بها سميت ملكة واذا اعتبرت بذاتها سميت ملكة نفسانية فاستعمال المرء العاقل العدل على
نفسه اول ما يلزمه ويجب عليه وقد ذكرنا فيما تقدم كيف يفعل ذلك وبينا كيف يعدل قواه الكثيرة اذا
هاج به بعضها واشرنا الى اجناس هذه القوى الكثيرة وان بعضها يكون بالشهوات المختلفة وبعضها بطلب
الكرامات الكثيرة وانها اذا تغالبت وتهايجت حدث في الانسان باضطرابها انواع الشر تجذبه كل واحدة
منها الى ما يوافقه وهكذا سبيل كل مركب من كثرة اذا لم يكن لها رئيس واحد ينظمها ويحدها او يسطو ويشبه
كل من كان كذلك من يجذب من جهتين فينقطع بينهما ويشق بنصفين او من جهات كثيرة فينقطع بحسب
تلك الجهات قطعا واما الرئيس ينظم هذه الكثرة التي ركبت منها الانسان الا الرئيس الواحد الذي هو الهي بالحقيقة
اعني العقل الذي به يميز من البهائم وهو خليفة الله عنده فان هذه القوى كلها اذا سلمها العقل تحققت
وزال عنها شر النظام الذي يحدث من الكثرة وجميع ما ذكرناه من اصلاح الاخلاق يجري عليه فاذا تم
للانسان ذلك اعني ان يعدل على نفسه بامر هذه الفضيلة فقد لزمه ان يعدل على اهله وحشمه ثم اهله
وعشيرته ثم يلزمه ان يستعمل ذلك في الاباعد منه من سائر الحيوانات واذا تصفح ذلك ولاحظه حسبا
فقد ظهر لك ان شر الناس من جار على نفسه ثم على اهله ثم عشيرته ثم على كافة الناس والخير كذلك
العلم باحد الضدين هو العلم بالضد الآخر فخير الناس العادل ومن هم الجاير كما قلنا وقد قال قوم ان نظام
امر الموجودات كلها وصلاح جميعها متعلق بالمحبة وقالوا ان الانسان انما اضطر الى اقتناء هذه

هذه الفضيلة اعني المحبة التي تشبه فيها النفوس الالهية حتى تنال الكمالات بذاتها فمن فقد المحبة ولو كان المتعاملون
احبابا لتناصفوا ولم يقع بينهم خلاف وذلك لان الصديق الحقيقي هو الذي يريد لصديقه ما يريده لنفسه وليس يتفق
والتعاضد والتوازر الا بين الاخيار فانه متى تعاضد اثنان بحسب المحبة وطلبوا الجميع الخيرات لم يبق عليهم
التغالب وان كانت صحبة شديدة وحينئذ ينشأ الآراء الصائبة فتتساعد العقول على استخراج الامور
من التدابير القويمة ويتعاونون على نيل الخيرات كما ان بالتعاضد لو سقط الحبل ... نفس هذا الرأي
وقوته وهؤلاء القوم انما نظروا الى فضيلة التاحد التي تحصل بين الكثرة واعتبروا انها اشرف غايات
اهل المدينة وذلك انهم اذا تحابوا وتواصلوا واراد كل واحد منهم لصاحبه مثل ما يريده لنفسه فصيروا
القوى الكثيرة واحدة ولم يتعذر على احد منهم رأي صحيح لا على مطلوب يكون مثلهم في جميع ما ... ولو انه
مثل من يريد تحريك ثقل عظيم بنفسه ولا يطيق ذلك فان استعان بقوة غيره تحرك معه به المدينة فانما نقصد
بجميع تدابيرها ايقاع المودات بين اهلها واذا تم لهم هذه الخاصة فقد تم له جميع الخيرات التي يتعذر عليه وحده
وعلى افراد اهل مدينة وحينئذ يغلب اقرانه ويعين ابناءه ويعيش هو ورعيته مغتبطين ولكن هذا التاحد
المطلوب المرغوب فيه لا يتم الا بالآراء الصحيحة التي يجب الاتفاق من العقول السليمة عليها والاعتقادات
القويمة التي لا تحصل الا بالديانات التي يقصد بها عبادة الله عز وجل واتيان العبادات الكثيرة وان كانت
ترتقي كلها الى وجه واحد ومعقول ... بحوله ... ما سيظهر ... لهذه المقالة

تمت المقالة الرابعة

قد سبق القول في حاجة بعض الناس الى بعض وتبين ان كل واحد منهم يجد تمامه عند صاحبه
وان الضرورة داعية الى استعانة بعضهم ببعض لان الناس مطبوعون على النقصانات ومضطرون في
الى تمامات ولا سبيل لافرادهم والواحد فالواحد منهم الى تحصيل تمامه بنفسه كما شرحنا فيما مضى فالحاجة
ماسة والضرورة داعية الى حال تجمع وتضم بين اشتات الاشخاص لتصير بالاتفاق والائتلاف كالشخص
الواحد الذي تجتمع اعضاؤه كلها على الفعل الواحد النافع له والمحبة انواع ولها اسباب نحن نعدد انواعها
فاحد انواعها ما ينعقد سريعا وينحل سريعا والثاني ما ينعقد سريعا وينحل بطيئا والثالث ما ينعقد بطيئا وينحل
سريعا والرابع ما ينعقد بطيئا وينحل بطيئا وانما انقسمت الى هذه الانواع فقط لان مقاصد الناس في

مطالبهم وسيرهم ثلثة ويتركب بينها رابع وهي اللذة والخير والنافع والمركب منها واذا كانت هذه غايات الناس في مساعيهم
فلا محالة انها اسباب المحبة من عاون عليها وصار سببا للوصول اليها اما المحبة التي تكون سببها اللذة فهي التي ينعقد سريعا
وينحل سريعا وذلك ان اللذة سريعة التغير كما شرحنا امرها فيما تقدم واما المحبة التي سببها الخير فهي التي ينعقد سريعا وينحل
بطيئا واما المحبة التي سببها النافع فهي التي ينعقد بطيئا وينحل سريعا واما المحبة التي يتركب من هذه اذا كان فيها الخير
فانها ينحل بطيئا وينعقد بطيئا وهذه المحبات كلها تحدث بين الناس خاصة لانها تكون بارادة ويكون فيها مجازاة
ومكافاة فاما التي تكون بين الحيوانات غير الناطقة فالاحرى بها ان يسمى الفا وتقع بين الاشكال منها خاصة واما
التي لانفوس لها من الاحجار وامثالها فليس يوجد فيها الا الميل الطبيعي الى مراكزها التي تخصها وقد يوجد بينها منافرة و
مشاكلة بحسب امزجتها الحادثة فيها من عناصرها الاول وهذه الامزجة كثيرة اذا وقع فيها ما بينها نسبة تاليفية
او عددية او مساحية حدث بينها ضرب من المشاكلة واذا حدث اضداد هذه النسب وقعت بينها منافرة ويحدث لها
اشياء يسمى لاجلها افعال بديعة غريبة وهي التي يسمى سرار الطبائع ولاسيما في النسب التي نسبة المساواة ولها اضداد اعني
لهذه النسب وجوه مبينة مشروحة في صناعة الارثماطيقي ونحو صناعة التاليف واما الامزجة التي بحسب هذه النسب و
الوقوف عليها فهي خفية عنا وعسيرة المرام وقد ادعى قوم الوصول اليها وليست يكون هذه الافعال والخواص
التي يحدث بين الامزجة من النسب المذكورة موجودة في العناصر انفسها والكلام فيها خارج عن غرضنا وانما ذكرناها
ههنا لانها تشبه المشاركات والمنافرات التي بين الحيوان في الظاهر ولا تشبه التي يحدث بين الناس بالارادة
وهي التي نتكلم فيها ويقع فيها مكافاة ومجازاة والصداقة نوع من المحبة الا انها اخص منها وهي المودة بعينها وليس يمكن
ان يقع بين جماعة كثيرين كما يقع المحبة فاما العشق فهو افراط في المحبة وهو اخص من المودة وذلك انه لايمكن ان يقع
الا بين اثنين فقط ولا يقع في النافع ولا في المركب من النافع وغيره وانما يقع لمحب اللذة بافراط ولمحب الخير بافراط والاول
مذموم اعني اللذة والاخر محمود اعني الخير فالصداقة بين الاحداث ومن كان في مثل طباعهم وانما يحدث لاجل اللذة فهم
يتصادقون سريعا ويتقاطعون سريعا وربما اتفق ذلك بينهم في الزمان اليسير مرارا كثيرة وربما بقيت بقدر بقاء تلك
اللذة ومعاودتها حالا بعد حال وانما انقطعت هذه الثقة بمعاودتها انقطعت الصداقة في وقت الحال والصداقة
بين المشايخ ومن كان في مثل طباعهم انما يقع لمكان المنفعة فهم يتصادقون سببها فاذا كانت المنافع مشتركة بينهم

بينهم وهي في الاكثر طويلة المدة كانت مداتهم باقية فحين ينقطع علاقة المنفعة بينهم وينقطع رجاؤهم
منها ينقطع مودّاتهم واما الصداقة بين الاخيار فيكون لاجل الخير وسببها هو الخير ولما كان الخير شيئاً ثابتاً غير متغير
الذات صارت مودّات اصحابها باقية غير متغيرة وايضاً فلما كان الانسان مركباً من طبايع متضادة صار
ميل كل واحد منها يخالف ميل الاخر واللذة التي يوافق احدها يخالف لذة الاخرى التي يضادها فلا يخلص له لذة
غير مشوبة باذى ولما كان فيه جوهر الهي بسيط الهي غير مخالط لشئ من الطبايع الا انها صارت له لذة غير مشابهة
لشئ من تلك اللذات وذلك انها بسيطة ايضا والمحبة التي سببها هذه اللذة هي التي تفرط حتى يصير عشقاً تاماً
خالصاً شبيهاً بالوله وهي المحبة الالهية الموصوفة التي تدعيها بعض المتالهين وهي التي يقول فيها ارسطو حكاية
عن ابن قلنطس ان الاشياء المختلفة لا يتشاكل ولا يكون منها تاليف جيد فاما الاشياء المتشاكلة فهي التي يسر
بعضها ببعض ويشتاق بعضها الى بعض فاقول ان الجواهر البسيطة اذا تشاكلت واشتاق بعضها الى البعض تالفت
صارت شيئاً واحداً لا غيرية بينها اذ الغيرية انما يحدث من جهة الهيولى فاما الاشياء ذوات الهيولى وهي الاجرام
فانها وان اشتاقت بنوع من الشوق الى التاليف فانها لا تتحد ولا يمكن ذلك فيها وذلك انها يلتقي بنهاياتها
وسطوحها دون ذواتها وهذا الالتقاء سريع الانفصال اذا كان التماس فيها ممتنعاً وانما يتماس بنحو استطاعتها اعني
بملاقاة سطوحها فاما الجوهر الالهي الذي في الانسان اذا صفا من كدورته التي حصلت فيه من ملابسة الطبيعة
ولم يجذبها انواع الشهوات واصناف محبة الكرامة اشتاق الى شبهه وراى بعين عقله الخير الاول المحض الذي لا يشوبه
مادة فاسرع اليه وحينئذ يفيض نور ذلك الخير الاول عليه فيلتذ به لذة ويصير الى معنى الاتحاد الذي وصفنا
استعمل الطبيعة البدنية ام لم يستعملها الا انه بعد مفارقة الطبيعة الكلية احق بهذه الرتبة العالية
لانه ليس يصح له الصفا التام الا بعد الحيوة الدنيوية ومن فضائل هذه المحبة الالهية انها لا تقبل النقصان
ولا يقدح فيها السعاية ولا يعترض عليها الملل ولا تكون الا بين الاخيار فقط واما المحبات التي تكون بسبب المنفعة
واللذة فقد يكون بين الاشرار وبين الاخيار والاشرار الا انها ينقضي وتنحل مع تقضي النافع واللذيذ لانها
عرضية وكثيراً ما يحدث بالاجتماعات في المواضع الغريبة الا انها تزول بزوال المواضع كالسفينة وما
جرى مجراها والسبب في هذه المحبة الانس وذلك ان الانسان انس بالطبع وليس بوحشي ولا نفور ومنه اشتق اسم الانسان

في اللغة العربية وقد تبين ذلك في صناعة النحو وليس كما يقول الشاعر سميت انسانا لانك ناسي
فان هذا الشاعر ظن ان الانسان مشتق من النسيان وهو غلط منه وينبغي ان يعلم ان هذا الانس الطبيعي في
الانسان هو الذي ينبغي ان يحرص عليه ويكتسبه مع انه لنفسنا لا يفوتنا بجهدنا واستطاعتنا من يدنا احبابنا
كلها وانما وضع للناس بالشريعة وبالعادة الجميلة اتخاذ الدعوات والاجتماع في المآدب ليحصل لهم هذا الانس
ولعل الشريعة انما اوجبت على الناس ان يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس مرات وفضلت صلاة الجماعة على صلاة
الوحدة ليحصل لهم هذا الانس الطبيعي الذي هو مبدأ المحبات وهو فيهم بالقوة حتى يخرج الى الفعل ثم يتأكد فيهم
بالاعتقادات الصحيحة التي تجمعهم وهذا الاجتماع في كل يوم ليس يتعذر على اهل كل محلة وسكة و
الدليل على ان غرض صاحب الشريعة عليه السلام ما ذكرناه انه اوجب على اهل المدينة باسرهم ان يجتمعوا
في كل اسبوع يوما بعينه في مسجد يسعهم ليجتمع ايضا شمل اهل المحال والسكك في كل اسبوع كما اجتمع شمل
اهل الدور والمنازل في كل يوم ثم اوجب ايضا ان يجتمع اهل المدينة مع اهل القرى والرساتيق المتقاربة
في سنة مرتين في مصلى بارز يسعهم المكان ويتراءوا ويتجدد الانس بين كافتهم وتشملهم المحبة الناظمة لهم
ثم اوجب بعد ذلك ان يجتمعوا من البلدان في العمر كله مرة واحدة في الموضع المقدس بمكة ولم يعين من العمر
على وقت مخصوص ليتسع لهم الزمان وليجتمع اهل المدن المتباعدة كما اجتمع اهل المدينة الواحدة ويصيروا في
الانس والمحبة وشمول الخير والسعادة كحال المجتمعين في كل سنة وفي كل اسبوع وفي كل يوم فيجتمعوا بذلك
الانس الطبيعي الى الخيرات المشتركة ويتجدد بينهم محبة الشريعة وليكبروا الله على ما هداهم وليغتبطوا بالدين
القويم الذي الفهم على تقوى الله وطاعته والقيم بحفظ هذه السنة وغيرها من وظائف الشرع حتى لا يزولوا
عن اوضاعها هو الامام وصناعته هي صناعة الملك والاوائل لا يسمون بالملك الا من
حرس الدين وقام بحفظ مراتبه واوامره ونواهيه فاما من اعرض عن ذلك فيسمى متغلبا ولا
يؤهلونه باسم الملك وذلك ان الدين هو وضع الهي يسوق الناس باختيارهم الى السعادة القصوى
والملك هو حارس هذا الوضع الالهي حافظ على الناس ما اخذوا به وقال حكيم الفرس من ملوكهم اردشير ان
الدين والملك اخوان توأمان لا يتم احدهما الا بالآخر فالدين اس والملك حارس وكل ما لا اس له فمهدوم وكل ما

ما لا حارس له فضايع ولذلك حكم الحكيم ان الملك الذى نصب للدين ان يتيقظ فى موضعه ويحرس صناعته ولا يهمل
امرها يوما ولا يشتغل بلذة تخصه ولا يطلب الكرامة والغلبة الا من وجهها فمتى اغفل سياسة الدين دخل عليه
من هناك الخلل والوهن وحينئذ يتبدل او يضيع الدين ويجد الناس رخصة فى شهواتهم ويكثر من يساعدهم
فتنقلب هيئة السعادة الى ضدها ويحدث بينهم الاختلاف والتباغض ويؤديهم ذلك الى الشتات والفرقة
ويبطل الغرض الشريف وينتقض النظام الذى طلبه صاحب الشرع بالاوضاع الالهية فيحتاج حينئذ الى تجديد الامر
واستئناف التدبير وطلب الامام الحق والملك العادل ونعود الى ذكر اجناس المحبات واسبابها فنقول ان هذه
الاسباب كلها ما خلا المحبة الالهية اذا كانت مشتركة بين المتحابين واحد بعينه جاز فى السببين ان ينعقدا معا
وينحلا معا وجاز ايضا ان يبقى احدهما وينحل الاخر مثال ذلك ان اللذة المشتركة بين الرجل والمراة هى سبب المحبة
بينهما فقد يجوز ان يجتمع المحبتان لان السبب واحد وهو اللذة وقد يجوز ان ينقطع احدهما ويبقى الاخر وذلك ان اللذة تتغير
ولا تكاد تثبت كما تقدم وصفها وقد يجوز ان يتغير سبب احد الجنبتين ويثبت الاخر وايضا فان بين الرجل وزوجته
خيرات مشتركة ومنافع مختلطة وهما يتعاونان عليها اعنى الخيرات الخارجة عنا وهى الاسباب التى يعمر بها
المنازل فالمراة تنتظر من زوجها تلك الخيرات لانه هو الذى يكتسبها ويحضرها واما الرجل فانه ينتظر من
زوجته ضبط تلك الخيرات لانها هى التى تحفظها وتدبرها التدبير ولا تضيع فمتى قصر احدهما اختلفت المحبة
وحدثت الشكايات ولا يزال كذلك الى ان ينقطع او يبقى مع الشكاية والملامة وكذلك حال المنفعة
المشتركة بين سائر الناس اذا كانت واحدة بعينها فاما المحبات المختلفة التى اسبابها ايضا مختلفة فهى
اولى بسرعة التحلل ومثال ذلك ان يكون محبة احد المتحابين لاجل المنفعة ومحبة الاخر لاجل اللذة كما يعرض
ذلك فى المتعاشرين على ان احدهما مغن والاخر مستمع فالمغنى منهما يحب المستمع لاجل المنفعة والمستمع منهما يحب
المغنى لاجل اللذة وكما يعرض ايضا فى العاشق والمعشوق اللذين احدهما يلتذ بالنظر والاخر ينتظر
المنفعة وهذا الصنف من المحبة يعرض فيها ابدا التشاكى والتظلم وذلك ان طالب اللذة يتعجل
مطلوبه وطالب المنفعة يتاخر عنه مطلوبه وليس يكاد الامر يعتدل بينهما ولذلك ترى العاشق يشكو
معشوقه ويتظلم منه وهو بالحقيقة ظالم ينبغى ان يشكى لانه يتعجل لذته بالنظر ولا يرى المكافاة بما يستحق

صاحبه والمحبة اللوامة كثيرة الانواع الا ان الاصل فيها ما ذكرت وربما اتفق ان يكون المحبة بين الرئيس والمرؤس
والغنى والفقير يعرض بها اللوم والتوبيخ لاجل اختلاف الاسباب ولان كل واحد يستبطئ من المكافات عند الاخر ما
لا يجده عنده فيقع فساد فى الثبات بينهما ثم استبطاء ثم ملامات ثم يزيل ذلك طلب العدالة المبسوطة بينهما اعنى المماثلة
الخاصة لا يرضيهم من مواليهم الا الزيادة الكثيرة فى الاستحقاق وكذلك الموالى يستبطئون العبيد فى الخدمة
والشفقة والنصيحة وفى جميع ذلك يقع اللوم وفساد الضمير فهذه المحبة اللوامة التى لا يكاد يخلو منها الا على
شريطة العدل وطلب الوسط من الاستحقاق والرضا به وهو صعب فاما محبة الاخيار بعضهم بعضا فانها
لا يكون للذة خارجة ولا المنفعة بل للمناسبة الجوهرية بينهما وهى قصد الخير والتماس الفضيلة فاذا احب احدهم
الاخر لهذه المناسبة لم يكن بينهم مخالفة ولا منازعة ونصح بعضهم بعضا وتلاقوا بالعدالة والتساوى فى
ارادة الخير وهذا التساوى فى النصيحة وارادة الخير هو الذى يوحد كثرتهم ولهذا حد الصديق بانه اخر هو انت
الا انه غيرك بالشخص ولهذا صار عزيز الوجود ولم يوثق بصداقة الاحداث والعوام ومن ليس بحكيم
لان هؤلاء يحبون ويصادقون لاجل اللذة او المنفعة ولا يعرفون الخير الحقيقة ولا اغراضهم صحيحة فاما
الصالحين فانهم يظهرون الصداقة على انهم متفضلون ومحسنون الى من يصادقونهم فليس يدخلون
تحت الحد الذى ذكرناه وفى صداقتهم زيادة ونقصان والمساواة عزيز الوجود عندهم وكذلك
حال محبة الوالد للولد لان انواع هذه المحبة مختلفة واسبابها ايضا مختلفة لما قلنا
الا ان محبة الوالد للولد والولد للوالد فان كان بينهما اختلاف ما من وجه فان بينهما اتفاقا
ذاتيا اعنى بالذاتى ههنا ان الوالد يرى فى ولده انه هو هو وانه نسخ صورته التى يخصه من الانسانية
فى شخص ولده نسخا طبيعيا ونقل ذاته الى ذاته نقلا حقيقيا وحق له ان يرى ذلك لان التدبير
الالهى بالسياقة الطبيعية التى هى سبب الله عز وجل هو الذى عاون الانسان على انشاء الولد وجعله السبب
الثانى فى ايجاده من نقل صورته الانسانية اليه ولذلك يحب الوالد الولد حتى يطلب جميع ما طلبه لنفسه ويسعى
فى تاديبه وتكميله لكل ما فاته فى نفسه طول عمره ولا يشق عليه ان يقال له ولدك افضل منك لانه يرى
انه هو هو كان الانسان اذا تزيد فى نفسه حالا فحالا ويرقى فى الفضيلة مرتبة مرتبة لا يشق عليه ان يقال له

فيقال له ليتني افضل مما كنت بل يسره ذلك وكذلك يكون حاله اذا قيل له في ولده مثل ذلك ثم تفضل ايضا محبة
الوالد على محبة الولد بانه الفاعل له وبانه يعرفه منذ اول كونه ويستبشر به وهو جنين ثم تزداد محبته له مع التربية
والنشو ويتأكد سروره به وتأميله له ويحدث له اليقين بانه باق بعده وان فيه بقية مادة فان هذه
المعاني الجليلة عند اهل العلم تتراءى للعوام كانها من وراء ستر واما محبة الولد للوالد فانما تنقص عن هذه المرتبة لا
فان الولد مفعول وبانه لا يعرف ذاته ولا اصله الا بعد زمان طويل بعد ان يثبت اباه حسا وينتفع به دهرا ويعقل
بعد ذلك امره بالصحة وعلى مقدار عقله واستبصاره في الامور يكون تعظيمه لوالديه ومحبته لهما ولهذه العلة
وصى الله الولد بوالديه ولم يوص الوالد بولده فاما محبة الاخوة بعضهم بعضا فلاجل ان سبب كونهم واحد ونسبتهم
بعينه ويجب ان يكون نسبة الملك الى رعيته نسبة ابوية ونسبة رعيته اليه نسبة بنوية ونسبة الرعية بعضهم الى
بعض نسبة اخوية حتى تكون الرياسات محفوظة على شرائطها الصحيحة وذلك ان مراعاة الملك رعيته هي مراعاة
الاب لولده ومعاملتهم اياه تلك المعاملة وقد كنا اشرنا الى ذلك وسنزيده بيانا اذا صرنا الى ذكر سياسة الملك في
كتاب لنا وعنايته برعيته يجب ان يكون عناية الاب باولاده شفقة وحبا وتلطفا وتعهدا لاحوالهم كصاحب الشريعة
عليه السلام بل المشرع للشريعة تعالى ذكره في الرأفة والرحمة وطلب المصالح لهم ودفع المكاره عنهم وحفظ النظام فيهم
والمحافظة على كل ما يجلب الخير ويمنع الشر فانه عند ذلك يحبه رعيته محبة الولد للاب الشفيق ويحدث بينهما تلك النسبة
وانما تختلف هذه المحبات بالتفاضل الذي يكون بعظم المنافع فيجب ان يكرم الاب كرامة ابوية ويكرم السلطان
كرامة سلطانية ويكرم الناس بعضهم بعضا كرامة اخوية ولكل مرتبة من هذه المراتب استيهال خاص واستحقاق واجب
له فاذا لم يحفظ بالعدالة زاد او نقص وعرض لها الفساد فانحلت الرياسات وانعكست الامور فعرض لرياسة الملك
ان ينتقل الى رياسة التغلب وتبع ذلك ان ينتقل محبة الرعية الى البغض وعرض لرياسة من فيه فيصير محبة الاخيار
الى تباغض الاشرار ويبقى الالفة نفاقا ويطلب كل واحد لنفسه ما يظنه خيرا له وان اضر بغيره ويبطل الصداقات
والخير المشترك بين الناس ويؤول الامر الى الهرج الذي هو ضد النظام الذي سنه الله لخلقه ورسمه بالشريعة وقضى
بالحكمة البالغة فاما المحبة التي لا يشوبها الانفعالات ولا يلحقها الآفات وهي محبة العبد لخالقه عز وجل
فانما تختص بالعالم الرباني وحده خاصة ولا سبيل لغيره اليها الا بالدعوى الكاذبة وكيف يصل الانسان الى

محبة من لا يعرفه ولا يعرف ضرب من نعامه الدارة عليه ويجهل احسانه المتصلة به في نفسه وبدنه اللهم الا ان يصور في نفسه
صنما ويظنه الخالق تعالى عما يظنه المبطلون فيحبه ويعبده فان اكثر الناس كما قال الله عز وجل وما يؤمن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون ولعمري انا نرى العامة تدعي المحبة لله وهو يعصيه ومن يعصه او يشبهه بشي فكيف يعبده وتعالى الله من ذلك
الله وهذا هو الضلال البعيد ومدعوا هذه المحبة لله كثير جدا والمحققون منهم قليل جدا بل هم اقل القليل وهذه
المحبة يتصل بها الطاعة والتعظيم ويتلوها ويقرب منها محبة الوالدين واكرامهما وطاعتهما وليس يرتقي الى محبتهما
شي من المحبات الا الاخرى اعني محبة الحكماء عند تلاميذهم فانها متوسطة بين المحبة الاولى اعني الالهية وبين المحبة
الثانية وذلك ان المحبة الاولى لا يبلغها شي من المحبات كما ان اسبابها لا يبلغها شي من الاسباب والنعم
التي تأتي من قبلها لا يشبهها شي من النعم واما المحبة الثانية فهي تقرب منها لان سببها هو السبب الثاني في وجودنا
المحسن اعني ابدانا وكوننا فاما المحبة الثالثة اعني محبة الحكماء فهي اشرف واكرم من محبة الوالدين لاجل
ان شرفهم ومرتبتهم يكون من اجل تربيتهم لنفوسنا وهم اسباب وجودنا الحقيقي وبهم وصلنا الى السعادة
التامة فليس يبلغ احد جزاء ولا مكافاة ما يستحقه الاول ولا ما يستاهله الثاني وان اجتهد وبالغ ولا يؤدي
حقوقهما ابدا وان خدم باقصى طاعته وغاية وسعه واما محبة طالب الحكمة للحكيم والتلميذ الصالح للمعلم الخير
فانها من جنس محبة الاولى وفي طريقها وذلك لاجل الخير العظيم الذي يشرف عليه ويصل اليه وللرجاء الكثير
الذي لا يتحقق الا بعنايته ولا يتم الا بمطالعته ولانه والد روحاني ورب بشري واحسانه احسان الهي فانه
يربيه بالفضيلة التامة ويغذوه بالحكمة البالغة ويسوقه الى الحيوة الابدية في النعيم السرمدي واذا كان هو السبب
في وجودنا العقلي وهو المربي لنفوسنا الروحانية فبحسب فضل النفس على البدن يجب ان يفضل النعم واصل النعم
بذلك ويعتد بفضلها عليه بفضل التربية على التربية فحق ما يحب للتلميذ معلم الحكمة فمحبة خالصة شبيهة
بالمحبة الاولى واذا كانت هذه المحبة من جنس تلك المحبة والطاعة له من جنس تلك الطاعة ثم كان سبب
ما بين النعمتين ومحضنا لهما وسائقنا اليهما والى جميع النعم هو السبب الاول الذي هو سبب الخيرات كلها وجب
ان يكون محبتنا له في اعلى مراتب المحبات وكذلك طاعتنا له وتمجيدنا اياه ويجب على من بلغ هذه المنزلة من
الاخلاق ان يعرف مراتب المحبات وما يستحقه كل واحد من صاحبه حتى لا يبذل كرامة الوالد للرئيس ولا الاجنبي كرامة

كرامة الصديق والسلطان ولا كرامة الولد والعشيرة ولا كرامة الام والاب فان لكل واحد من هولاء واشباههم صنفا
من الكرامة وحقا من الخدمة ليس للآخر ومتى خلط فيه اضطرب وفسد وتشوشت المراتب واذا وفى كل واحد منهم حقه وقسطه
من الخدمة والمحبة والنصيحة كان عادلا واوجب طاعته وعدالته بالحاجة على صاحبه معاملته وكذلك يجب ان
يجري الامر في معاشرة الاصحاب والخلطاء والمتعاشرين في توفية حقوقهم واعطائهم ما هو خاص بهم ولان غش المحبة
والصداقة كان اسوء حالا من غش الدراهم والدنانير فان الحكيم ذكر ان المحبة المغشوشة تنحل سريعا وتفسد وشيكا
كما ان الدرهم والدينار اذا كانا مغشوشين فسد او فسدا هذا واجب في جميع انواع المحبات ولذلك يتعاطى العاقل
ابدا نمطا واحدا ويلزم مذهبا واحدا الى ارادة الخير فيفعل جميع ما يفعله من اجل ذاته ويرى خيره عند غيره كما يراه عند نفسه
فاما صديقه فقد قلنا انه هو الا انه غيره بالتشخص واما سائر مخالطيه ومعارفه فانه يسلك بهم مسالك
اصدقائه وكانه يجتهد في ان يبلغ بهم ويقيم منازل الاصدقاء بالحقيقة وان كان لا يمكن ذلك في جميعهم
فهذه سيرة الرجل الخير في نفسه ومرؤسيه واهله وولده وعشيرته واصدقائه وسلطانه فاما الشرير فانه يهرب
من هذه السيرة وينفر منها لرداءة الهيئة التي حصلت له ولحب البطالة والتكاسل عن معرفة الخير والتمييز بينه وبين
الشر وما هو مظنون عنده خيرا وليس غيره من كان على هذه الحال من الشر ورداءة الهيئة كانت
افعاله كلها ردية وذاته ردية ومن كانت ذاته ردية هرب من ذاته لان الرداءة معه فيهرب منها واضطر الى
مصاحبة قوم يناسبونه ليفنى عمره معهم ويشتغل بهم عن ذاته وما يجد فيها من الاضطراب والقلق وذلك لان
هولاء الاشرار اذا اخلوا بانفسهم ذكروا افعالهم الردية وهاجت بهم القوى المتضادة التي يدعوهم الى ارتكاب
الشرور المتضادة فبالموت من ذواتهم وتتشاغب بهم انواع الشغب وتجذبهم القوى التي فيهم وهي
التي لم تروضها بالادب الحقيقي الى جهات مختلفة من اللذات الردية وطلب الكرامات التي
لا يستحقونها والشهوات المردية التي تهلكهم سريعا فاذا جذبتهم هذه القوى الى جهات مختلفة
احدثت فيهم الاما كثيرة لانه ليس يمكن ان يفرح ويحزن معا ولا يرضى ويسخط في حال واحدة
ولا يتهيأ له ان ينجذب الى جهات مختلفة بحركة واحدة ويستطيع ان يؤلف بين الاضداد حتى يجتمع له فهو من
شقائه يهرب من ذاته لانها ردية فاسدة متالمة كثيرة الشغب عليه ويلتمس لعشرته ومخالطته لمن

من تتمة ولسوء حالا منه فهو في الوقت ملابسة بما يسكن اليه لاجل المشاكلة ثم يعرض بعد قليل ما لاجله ونزاوية في حالة وقضاء
فالم به وهرب منه فليس له محبة لا لذاته ولا لانه نفيع ولا لنفسه ولا تحصل الا من الندامة ولا يرجع الا من الشقوة فاما المحب الخير
الفاضل فان سيرته جميلة حق فهو يحب ذاته وافعاله ويستغرقه وليس به ايضا غيره ويختار كل انسان من اهله وصحبته
فهو يلق نفسه والناس صدقة ثم وليس يضاده الا الشرير فقط ويعرض لمن هو هذه سيرته ان يحسن الى غيره بقصد
وبغير قصد وذلك ان افعاله الذاتية محبوبة واللذيذ المحبوب مطلوب مختار ويكثره المتقبلون له والمحتفون به الا حاجة
عنه وهذا هو الاحسان الذاتي الذي يبقى ولا ينقطع ويتزيد على الايام ولا ينتقص فاما الاحسان العرضي الذي
ليس بخلقي ولا هو سيرة لصاحبه فانه ينقطع ويلحق فيه اللوم والمحبة التي يعرض منه يلحق بالمحبات اللوامة ولذلك
يوصى صاحبه بتربيته فيقال له رب الصنيعة اصعب من ابتدائها والمحبة التي تحدث بين المحسن والمحسن اليه
يكون فيها زيادة ونقصان اعني ان محبة المحسن للمحسن اليه اشد من محبة المحسن اليه للمحسن واستدل ارسطاطاليس على ذلك
ان المقرض وصانع المعروف يهتم كل واحد منهم لمن اقرضه واصطنع المعروف عنده ويتعاهدانه ويهمان سلامته
اما المقرض فربما اراد سلامة المقترض لمكان الاخذ لا لمكان المحبة اعني انه يدعو له بالسلامة والبقاء وتسوغ
النعمة والكفاية من كل وجه ليصل الى حقه واما المقترض فليس يعني كثير عناية بالمقرض ولا يدعو له بهذه
الدعوات فاما مصطنع المعروف فانه بالحق الواجب الذي اصطنع اليه معروفه وان لم ينتظر منه منفعة
ذلك ان كل صانع فعل جيد يحب مصنوعه فاذا كان المصنوع مستقيما يجب ان يكون لصنعه غاية في المحبة فقد تبين
ان محبة المحسن اشد من محبة المحسن اليه فاما المحسن اليه فهو محب الاحسان الذي يزيد من شوق المحسن ايضا فان المحبة المكتسبة بالاحسان
المرباة على طول الزمان تجري مجرى القنيات التي تكتسب بمشقة وما يكتسب منها على سبيل التعب والنصب تكون المحبة له
والضن اكثر ومن وصل الى المال بغير تعب لم يكترث له ولم يشح عليه وبذله في غير موضعه كما يفعل الوراث ومن يجري
مجراهم فاما من يصل اليه بتعب شديد في طلبه وسعي في جمعه فانه يكون شديد الضن به والمحبة له ولهذه العلة
صارت الام اكثر محبة للولد من الاب لما يعرض لها من الجنين والولادة ما لا يعرض للاب ومن هذا النوع محبة الشاعر
شعره ويعجب به اكثر من عجب غيره وكل فاعل فعلا يتعجب به فهو يحب فعله ولذلك ايضا فان المنفعل لا يتعجب كتعجب الفاعل الا انه
منفعل والمعطي فاعل فمن هذه الوجوه تبين ان مصطنع المعروف يحب من احسن اليه حبا شديدا من الناس من

يصطنع المعروف لاجل الخير نفسه ومنهم من يصنعه لاجل الذكر الجميل ومنهم من يصنعه بالامرين ومن البين ان اعلاهم
مرتبة من صنعه لذاته اعنى لذات الخير وصاحب هذه المرتبة لا يعدم الذكر الجميل والثناء الباقي وتجب محبته من كل من يصطنع
المعروف عنده وان لم يقصد ذلك بالفعل ولا النية ولما حكمنا فيما تقدم حكما مطلقا لا يترك احد وهو ان
كل انسان يحب الخير وكانت هذه المحبة لا محالة تتم بالاقسام الثلثة التي ذكرناها اعنى اللذة والنافع والخير وجب من
ذلك ان يكون من لا يميز بين هذه الاقسام حتى يعرف الافضل فالافضل منها لا يدرى كيف يحسن الى نفسه التي
هي محبوبة فيقع في ضروب من الخطاء لجهله بالخير الحقيقي فلذلك صار بعض الناس يختار لنفسه سيرة اللذة وبعضهم
سيرة الكرامة والنافع لانهم لا يعرفون بما هو افضل منها فاما من عرف سيرة الخير وعلو مرتبته فهو لا محالة يختار لنفسه
افضل السير ويكرم الخير فلا يوثر اللذة البهيمية ولا اللذات الخارجة عن نفسه لانها عرضية كلها ومستحيلة وزائلة لكنه يختار
اما اثر الخيرات واعلاها واعظمها وهو الخير الذي له بالذات اعنى الذي ليس بخارج عنها وهو الذي يناسب الجزء الالهي ومن
بهذه السيرة واختارها لنفسه فقد احسن اليها وانزلها في الشرف الاعلى واهلها لقبول الفيض الالهي واللذة الحقيقية التي
لا تنقضي ابدا واذا كان بهذه الحال فهو لا محالة يفعل سائر الخيرات الاخر وينفع غيره ببذل الاموال والسماحة بجميع ما يتنافس
الناس عليه ويحصل صديقه مع ذلك بكل ما يضيق عنه غيره من اصحاب الخيرات غير الباقية فيصير معظما عند كل احد لا سيما
عند صديقه وايضا فقد بينا فيما تقدم ان الانسان مدني بالطبع وشرحنا معنى المدني فاذن بالواجب يكون تمام
سعادته الانسانية عند اصدقائه ومن كان تمامه عند غيره فمن المحال ان يحصل مع الوحدة وبالتفرد الى سعادته
التامة فالسعيد اذن من اكتسب الاصدقاء واجتهد في بذل الخيرات لهم ليكتسب بهم ما لا يقدر ان يكتسبه بذاته
فيلتذ بهم ايام حياته ويلتذون ايضا به وقد شرحنا حال هذه اللذة وانها باقية الهية غير مملة ولا متغيرة ولكن
في جملة الناس والجمهور منهم قليل جدا واما اصحاب اللذات البهيمية والنافعة فيها فكثير جدا وقد يكتفى من
هؤلاء بالقليل كالابازير في الطعام وكالملح خاصة فاما الصديق الاول الذي وصفناه فلا يمكن ان يكون
كثير العدد لانه يجري مجرى افراط المحبة لا يصح ولا يتم الا للواحد فاما حسن العشرة وكون اللقاء والسعي لكل
واحد بسيرة الصديق الحقيقي فيبذل لاجل طلب الفضيلة ولانا قد قلنا فيما تقدم ان الرجل الخير الفاضل
يستلذ في عشرتهما ما فيه مسالك الصديق وان لم يتم الصداقة الحقيقية فيهم وارسطاطاليس يقول

ان الانسان يحتاج الى الصديق عند حسن الحال وعند سوء الحال لحاجته اليه في كلى الحالتين وذلك انه عند سوء الحال
يحتاج الى المواساة والى من يحسن اليه ولعمري ان الملك العظيم يحتاج الى من يصطنعه ويصنع احسانا عنده كما
ان الفقير من الناس يحتاج الى صديق يصطنعه ويصنع عنده المعروف ويطلبه من اجل فضيلة الصداقة ليشارك
الناس بعضهم بعضا ويتعاشرون عشرة جميلة ويداعب بعضهم بعضا ويجتمعون في الرياضات والصيد والدعوات
وما يتعلق بالعيش ثم قال بهذه الالفاظ انى لاكثر التعجب ممن يعلم اولاده اخبار الملوك ووقائع بعضهم ببعض وذكر
الحروب والضغاين وممن انتقم او توثب على صاحبه ولا يخطر بباله امر المودة واحاديث الالفة وما يحصل من
الخيرات العامة لجميع الناس بالمحبة والانس فانه لن يستطيع احد من الناس ان يعيش بغير المودة وان مالت اليه
الدنيا بجميع رغائبها فان ظن احد ان امر المودة صغير فالصغير من ظن ذلك وان قدر انه مستغن عن الدنيا فيما يستغنيه عن
حتى صداقة يوثق بها عند البلوى ثم قال لكني اعتقد واقول ان قدر المودة وخطرها عندي اعظم من جميع ذهب كنوز
قارون ومن ذخائر الملوك قاطبة ومن جميع ما يتنافس فيه اهل الارض من الجواهر ما يحوي الدنيا بره وبحره وتقابله
فيه من الحرث والبناء وسائر الامتعة والاثاث ولا يعدل جميع ذلك ما اخترت لنفسي من فضيلة المودة وذلك
ان جميع ما احصيته لا ينفع صاحبه اذا حلت به لوعة مصيبة في صديقه ولا يقوم له جميع الارض مقام صديق
يثق به في مهم يساعده عليه وسعادة عاجلة او اجلة يتولاه به فطوبى لمن اوتي هذه النعمة العظيمة وهو خلو من
السلطان وانظر طوبى لمن اوتيه في سلطان وذلك ان من باشر امور الرعية واراد ان يعرف احوالهم وينظر في
امورهم حق النظر لم يكفه اذنان وعينان ولا قلب واحد فان وجد اخوانا ذوي ثقة وجد بهم عيونا واذانا وقلوبا
كانها جميعا له فقرب عليه البعيد واطلع من ادنى امره على اقصاه وراى الغايب بصورة الشاهد فمن يجد هذه
الفضيلة الا عند الصديق الصدوق وكيف يطمع فيها عند غير الرفيق الشفيق واذ قد من علينا هذه النعمة الجليلة
الخطيرة فقد وجب علينا ان ننظر كيف نقتنيها ومن اين نطلبها واذا حصلت لنا كيف نحفظها
لئلا يصيبنا فيها ما اصاب الرجل الذي ضرب به المثل حين طلب الشاة فوجدها ثم اضاعها
فاضمه الشاعر فقال اعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم لاسيما وقد علمنا ان الانسان
بين جميع الحيوان يتصنع حتى يظهر للناس منه ما لا حقيقة له فيبذل ماله وهو بخيل ليقال هو

هو جواد ويقدم من بعض المواطن على بعض المخاوف ليقال هو شجاع فاما سائر الحيوان فان اغلاقنا مسرفة
للناس من اول الامر لا يتصنع فيها وكذلك يكون حال من لم يعرف المحاسن والمقابحات وانما يشبه في
حتى لم يقاول منها شيئا وهو يظنه حلوا فاذا طعمه وجده مرا وربما الحق منه غذاء فيكون لنا سما فينبغي ان تؤثروا
النظر في تحصيل هذه النعمة الجليلة حتى لا يقع مودة الشراحين الذين يتبرزون لنا بصورة الغنى الا
فاذا حصلوا في شباككم فتفرسوا كما يفترس الشجاع اكيلته والطريق الى السلامة من هذا الغدر
انا اذا اردنا ان نستفيد صديقا ان نسل عنه كيف كان في صباه مع والديه ومع اخوته
وعشيرته فان كان صالحا معهم فارج الصلاح منه والا فابعد منه واياك واياه قال ثم اعرف بعد ذلك
مع اصدقائه فتلك واصرفها الى سيرته مع اخوته وابائه ثم تتبع امره في شكر من يحسن اليه فان الكفر
للنعمة ولست اعني بالشكر المكافاة التي ربما عجز عنها بالفعل ولكن ربما عطل نيته في الشكر فلا يكافئ بما
يستطيع وبما يقدر عليه من تتميم الجميل الذي يسدى اليه ويراه حقا له او يتكاسل عن شكره باللسان وليس احد
يتعذر عليه ذكر النعم التي تولاها والثناء على صاحبه والاعتداد له بها وليس شيء اشد احتياجا للنعم من الكفر
وحسبك ما اعده الله للكافر نعمته من النقم من تعاليه عن الاستصلاح بالكفر ولا شيء اجلب للنعم ولا اشد تثبيتا
لها من الشكر وحسبك ما وعد الله الشاكرين مع استغنائه عن الشكر فمن عرف هذا الخلق من رجل فليحذر ان
يبتلى بالكفو اللئيم المستمر لايادي الاخوان واحسان السلطان ثم انظر ميله الى الراحات وتباطيه عن الحركات
التي فيها ادنى تعب فان هذا خلق ردي يتبع الميل الى اللذات فيكون شبيها بالتقاعد عما يجب عليه من الحقوق ثم انظر
نظره ثانيا في محبته الذهب والفضة واستهانته بجمعهما وحرصه عليهما فان كثيرا من المتعاشرين يتظاهرون
بالمحبة ويتهادون ويتناصحون واذا وقعت بينهم معاملة في هذين الجوهرين هر بعضهم على بعض هرير الكلاب و
خرجوا الى ضروب العداوات ثم انظر في محبته للرياسة والتفريط في نزاع الغلبة والترأس وان يفرط ولا
يضعفك في المودة ولا يرضى منك بمثل ما يعطيك ويحمله الخيلاء والتثبيت على الاستهانة باصدقائه و
طلب التقدم عليهم وليس يتم مع ذلك مودة ولا غبطة ولا بد من ان يزول الحال معهم الى العداوات والاحقاد الا
الكثيرة ثم انظر هل هو ممن يستهتر بالغناء والطرب وضروب اللهو واللعب وسماع المجون والمضاحك فيكاد

فما اشتغاله عن مساعدات اخوانه ومواساتهم وما اشد هربه عن مكافاة باحسان واحتمال النصب في ذلك وتحمل فيه
مشقة وان كان بريا من هذه الخلال فليحتفظ به وليرغب فيه وليكتف بواحد وحده فان الكمال عزيز وايضا فان من كثر
اصدقاؤه لم يف بحقوقهم واضطر الى الاعتذار عن بعض ما يجب عليه والى التقصير في بعض وربما ترادفت عليه احوال
متضادة اعني ان تدعو مساعدة صديق ان يسر بسروره ومساعدة اخر ان يغتم بغمه وان يسعى لسعي واحد ويقعد
بقعود اخر مع احوال تشبه هذه كثيرة مختلفة ولا ينبغي ان يحملك ما خصصتك عليه من طلب الفاضل المميز
تصادقه على تتبع صغائر عيوبه فيصير من ذلك الى ان لا يسلم لك احد فتبقى خلوا من الصديق بل ان يغضي عن
المعائب اليسيرة التي لا يسلم من مثلها البشر وينظر ما يجده في نفسك من عيب فيحتمل مثله من غيرك واحذر
عداوة من صادقته او خالطته مخالطة الصديق واستمع قول الشاعر شعر عدوك من صديقك مستفاد
فلا تستكثرن من الصحاب * فان الداء اكثر ما تراه * يكون من الطعام او الشراب * فلذلك يجب عليك
متى حصل لك صديق ان تكثر مراعاته وتبالغ في تفقده ولا تستهين باليسير من حقه عند مهم يعرض له
او حادث يحدث به فاما في اوقات الرخاء فينبغي ان يلقاه بالوجه الطلق والخلق الرحب وان تظهر
له في عينيك وحركاتك وبشاشتك وارتياحك عند مشاهدتك اياه ما يزداد به في كل يوم وكل حال
ثقة بك وسكونا الى عشرتك وترى السرور في جميع اعضائك التي يظهر السرور فيها اذا لقيك فان الفرح
الشديد عند طلعة الصديق لا يخفى وسرور الشكل بالشكل امر غير مشكل ثم ينبغي ان يفعل مثل ذلك بمن يعلم انه
يؤثره ويحبه من صديق او ولد او تابع او حاشية ويثني عليهم من غير اسراف يخرجك الى الملق الذي
يمقتك عليه ويظهر له منك تكلف فيه فانما يتم لك ذلك اذا توخيت الصدق في كل ما يثني عليه والزم هذه
الطريقة حتى لا يقع منك توان فيها بوجه من الوجوه وفي حال من الاحوال فان ذلك يجلب المحبة الخالصة ويكسب الثقة
التامة ويفيد لك صحبة الغرباء ومن لا معرفة له بك وكما ان الحمام اذا الف بيتا وانس به استانس وطاف به جلب
اشكاله وامثاله وكذلك حال الانسان اذا الفه وامتزج بمخالطته فانه اكثر رغبة في الانس بل يزيد على الحيوانات غير
الناطقة بحسن الوصف وجميل الثناء ونشر المحاسن واعلم ان مشاركة الصديق في السراء اذا كنت فيها وان كانت دعة
عليك حتى لا تستاثر ولا تختص بشيء منها فان مشاركته في الضراء اذا كنت تجب من قبلها اعظم

ذلك على اصابته نكبة او لحقته مصيبة او غيرته الدهر كيف يكون مواساتك له بنفسك ومالك وكيف نظرك
له في غيبته ومراعاتك ولا تطرحه بما ان يسالك سمحا او تعريضا بل اطلع على قلبه واسبق الى ما في نفسه وبادر
في مضض ما لحقه ليخف عنه وان بلغت مرتبة من السلطان والغنى فغمس اخوانك فيها من غير امتنان ولا
تطاول عليه وان رأيت من بعضهم تراجعا عنك او تقصا فيما عهدته به فاحذر زيادة مداخلة والتخلط به والتذلل
اليك فعلت فان الفت من ذلك او داخلك شيء من الكبر والصلف عليهم انتقض حبل المودة وانتكثت قوة معاقد الالفة
فلست تامن من ان يتبدل عملك فيستحيي منه ويضطر الى قطعهم حتى لا ينظر اليهم ثم حافظ على هذه الشرائط
بالمداومة عليها لتبقى المودة على حالة واحدة وليس هذا الشرط خاصا بالمودة بل هو مطرد في كل ما يحصل
اعوان مركوباتك وملبوساتك ومنزلك حتى لو لم تراعيها بمراعاة متصلة فسدت وانتقضت فاذا كان هذه
حال بيتك وسطوحك كذلك متى غفلت وتوانيت لم تأمن نقوضه وهدمه فكيف ترى اخا من يرجع
في كل خير وينتظر مشاركته في السراء والضراء ومع ذلك كان منزلك تختص بمنفعة واحدة فاما صديقك
فحجة النفس الذي يدخل عليك بجفائه وانتقاض مودته كثيرة عظيمة وذلك انه ينقلب عدوا ويحمل امنا
مضادة الخلائق من غوائله وعداوته مع عدمك الرغائب والمنافع به وينقطع رجاؤك فيما لا تجد له خلفا و
لا تستفيد منه عوضا ولا تسد مسده شيء واذا راعيت شروطه وحفظت حقوقه ولزمتها بالمداومة امنت جميع ذلك
ثم احذر المزاح معه خاصة وان كان واجبا ان تحذره مع كل واحد فان ممازاة الصديق تقطع المودة من اصلها
لانها سبب الاختلاف والاختلاف سبب التباين الذي هربنا منه الى ضده وتجنبنا اثره واخترنا عليه الالفة
التي طلبناها واثبتنا عليها وقلنا ان الله عز وجل دعا اليها بالشريعة القويمة واني لاعرف من يؤثر المراء
ويرى علمه به يقدح خاطره ويشحذ ذهنه ويثير شكوكه فهو يتعمل في المحافل التي يجمع رؤسا اهل النظر ومتعاطي العلوم
مماراة صديقه ويخرج في كلامه معه الى الفاظ جهال العامة وسقاطهم ليزيد في خجل صديقه وليظهر
انقطاعه وبلادته ولا يبين بعد ذلك بعيره وخلته ومذاكرته له وانما يفعل حيث يظن انه ادق نظرا واحضر حجة واغزر
علما او احد قريحة مما اكتسب الشبه الا باهل البغي وجبابرة اصحاب الاموال والمتشبهين بهم من اهل البذخ فان هؤلاء
يستهزئ بعضهم ببعض ولا يزال يصغر صاحبه ويزري على مروته ويطلب عيوبه ويتتبع عثراته ويبالغ

كل واحد فيما يفد عليه من ساير صاحبه حتى يتادى بهم الحال الى العداوة التامة التى تكون منها السعاية والاذاية ويها
وربما تتخلل الى سفك الدم وانواع الشرور وكيف يثبت مع الرعية او يتجا الفه ثم احذر فى صديقك ان
كنت محققا بالعلم ومتحليا بادب ان تخل عليه بذلك الفن ويرى فيك انك تحب الاستبداد دونه والاستيثار
عليه فان اهل العلم لايرى بعضهم فى بعض مايراه اهل الدنيا بينهم وذلك ان متاع الدنيا قليل واذا استمتع
فيه متعلم لبعضهم حال نقص حظ كل واحد من حظ الاخرين لمعانه بالضد وليس ينقص احد ما ياخذه غيره منه بل
تركوا على النفقة ويجامع الصدقة ويزيد على الانفاق وكثرة فاذا بخل صاحب علم بعلمه فانما ذلك لاحوال فيه كلها
قبيحة وهى انه اما الذى يكون قليل البضاعة منه فهو يخاف ان افنى ما عنده او يرى عليه ما لا يعرفه فيزول شوقه
عند الجهال واما ان يكون مكتسبا به فهو يخشى ان يضين مكسبه بنقص حظه منه واما ان يكون حسودا لمحسود
بعيد من كل فضيلة لايود احدا ولايوده احد وانى لاعرف من لايرضى بان يبخل بعلم نفسه حتى يبخل بعلم غيره وكثير
عنه ويسخطه على من يفيد غيره من التلامذة المستحقين لفائدة العلم وما اكثر ما يتوصل الى اخذ الكتب المولفة
من اصحابها بينهم مثلا وهذه خلق لايبقى بعده مودة بل يكسب صاحبه عداوات لايحسبها ويحسم الطماع
صاحبه من صداقته ثم احذر ان ينبسط اصحابك ومن يخالطك من ايقاعك ويحمل احدا منهم على ذكر شىء من
اسباب صديقك بغير الجميل فضلا عن ذكره فى نفسه ولا يخوض فى غيبة شىء يتصل به فضلا عن عيبه ولا يطعن فى
ذلك احد من اسبابك والمتصلين بك جدا ولا هزلا وكيف يحتمل ذلك فيه وانت بعينه وقلبه وخليفته على
الناس بل انت هو بعينه ان بلغه شىء مما حدثك منه لم يشك ان ذلك كان عن رايك وهواك وانقلب
عدوا ونفر عنك نفور الصيد فان عرفت منه انت عيبا فوافقه عليه موافقة لطيفة ليس فيها غلظة فان
الطبيب الرفيق ربما بلغ بالدواء اللطيف ما يبلغه غيره بالشق والقطع والكى بل ربما بالغذاء الى الشفاء و
اكتفى به عن المعالجة بالدواء ولست احب لك ان تغضى عما تعرف فى صديقك وان تتركه موافقة عليه وليس من حق الصديق
ان يغضى ويبقى لعيون الاضداد حتى يسبق ويتلبق ثم احذر النميمة وسماعها وذلك ان الاشرار يدخلون بين الاخيار
فى صورة النصحاء فيوهمونهم النصيحة وينقلون اليهم فى عرض الاحاديث اللذيذة اخبار الصديق ثم يعوجونها
مموهة حتى اذا تجاسروا على الخبيث المختلف من حق الحرب ما يفسد من انهم يتشبهوا بما حصل الثانى

مکدر گردانیدن
تزلزل بیهوده
تیغ زدن خونرا
کاهلی کردن
تجسس کردن
آنکه عیبی بخود ندارد
والامم الزینت
بری کردن
بعقل عیب بگیرد
عیب ای قدم
محو و فرو رفتن
سخن روی
شکوفه منور
ابرمسرل

الى ان يفسد بعضهم بعضا وللقدماء في هذا الغرض كتب ورسائل مفردة يحذرون فيها من النميمة ويشبهون صورة النمام بمن يحتال
بالماء في اساس البنيان القوية حتى يوهنها ثم لا يزال يزيد ويمعن حتى يدخل فيه المعول فيقلعه من اصله وينقضه وضربوا
الامثال الكثيرة الشبيهة بحديث الثور مع الاسد في كليلة ودمنة ونحن نكتفي بهذا القدر من الايماء لئلا نخرج
عن رسم كتابنا وعما بنينا عليه مذهبنا من الايجاز مع الشرح ولست اترك مع الايجاز والاختصار تطويل هذا
الباب وتكريره عليك لتعلم ان القدماء انما الفوا فيه الكتب وضربوا له الامثال واكثروا فيه من الوصايا
لما راوه من النفع العظيم عند السامعين له من الاخيار ولما خافوه من الضرر الكثير على من يستهين به من الاعمام
وليعلم ان المثل المضروب في السباع القوية اذا دخل بينها الثعلب الخداع على ضعفه فاهلكها ودمر عليها هو في
الملوك خصوصا اذا دخل بينهم اهل النميمة على صورة المتنصحين حتى يفسدوا نياتهم على وزرائهم المبالغين في
نصيحتهم المجتهدين في تثبيت ملكهم الى ان يتغيظوا عليهم ويصرفوا عيونهم عنهم ويصيروا امن يعد حسنتهم [illegible]
اياهم على اولادهم الى ان يبلوا عيونهم منهم والى ان يبطشوا بهم قتلا وتعذيبا وهم غير مذنبين ولا مجرمين ولا
مستحقين الا الكرامة والاحسان اذا بلغ من الاضرار والافساد ما بلغه من هؤلاء فكم بالحري ان يبلغ منا اذا اتصل
في اصدقائنا الذين اختبرناهم على الايام وادخرناهم للشدائد واحللناهم محل ارواحنا ونحو ما هم تفضيلا
واكراما وتبين لك من جميع ما قدمناه ان الصداقة واصناف المحبات التي يتم بها سعادة الانسان من
حيث هو مدني بالطبع انما اختلفت ودخل فيها ضروب الفساد وزال عنها معنى التاحد وعرض لها الانتباب
حتى احتجنا الى حفظها والتعب الكثير بنظمها لاجل النقصانات الكثيرة التي فينا وحاجتنا الى تمامها مع المواد
التي يعرض لنا من الكون والفساد فان الفضائل الخلقية انما وضعت من اجل المعاملات والمباشرات
التي لا يتم الوجود الانساني الا بها وذلك ان العدل انما احتيج اليه لتصحيح المعاملات وليزول به معنى الجور
الذي هو رذيلة عن المتعاملين وانما وضعت العفة فضيلة لاجل اللذات الردية التي تجني الجنايات العظيمة
على النفس والبدن وكذلك الشجاعة وضعت فضيلة من اجل الامور الهائلة التي يجب ان يقدم الانسان
عليها في بعض الاوقات ولا يهرب منها وعلى هذا جميع الاخلاق المرضية التي وصفناها وحضضنا على
اقتنائها وايضا فان جميع هذه الفضائل يحتاج الى اسباب خارجة عنا والى افعال كثيرة الفنون اعني ان

المحتاج الى اسباب من الاموال والى اكتسابها من وجوه يمكنه ان يفعل بها افعال الاحرار والسادة الحاجة
الى مثل ذلك ليجازى من عاشره بجميلة ويكافى من عامله باحسان وجميعها لا يتم الا بالابدان والاشياء مما
هو خارج عنها على حسب قسمتنا السعادات فيما مضى وكلما كانت الحاجات اكثر والحاجة فيها الى الامور الخارجة
عنا اكثر فهذه حال السعادة الانسانية التي لا يتم الا بالافعال البدنية والاحوال المدنية بالاعوان الصالحين
والاصدقاء المخلصين وهي كما ترى كثيرة والتعب فيها عظيم ومن قصر فيها قصرت به السعادة بحسبها
به ولذلك صار الكسل ومحبة الراحة من اعظم الرذائل لانهما يحولان بين المرء وبين جميع الخيرات وبين الغنا
ويسلخان الانسان من الانسانية ولذلك ذممنا المتوسمين بالزهد اذا تفردوا عن الناس وسكنوا الجبال
والمغارات واختاروا التوحش الذي هو ضد التمدن لانهم ينسلخون عن جميع الفضائل الخلقية التي
عددناها فكيف يعف ويعدل ويسخى ويشجع من فارق الناس وتفرد عنهم وعدم الفضائل الخلقية
وهل هو الا بمنزلة الجماد والميت واما محبة الحكمة والانصراف الى التصور العقلي واستعمال الاراء الالهية
فانه خاص بالجزء الالهي من الانسان وليس يعرض شيء من الآفات التي تعرض للحياة الخلقية ولا يلحقها ضرب
من الفساد ولذلك قلنا انها لا تقبل الهيمة ولا نوعا من انواع الشر ولانها الخير الاول المحض بحسب ذلك الجزء الالهي
الذي لا يشق مادة ولا يلحقه الشرور التي تلحق المواد وما دام الانسان يستعمل الاخلاق والفضائل الانسانية فانها
يعوقه عن الخير الاول وهذه السعادة الالهية ولكن ليس يتم له هذا الا بعد حصول تلك الفضائل في
نفسه ثم اشتغل عنها بالفضائل الالهية فقد اشتغل بذاته حقا وتخلص من مجاهدات الطبيعة والاهواء ومن
مجاهدات النفس قواها وصار مع الارواح الطيبة واختلط بالملائكة المقربين فاذا انتقل من وجوده
الاول الى وجوده الثاني حصل في النعيم الابدي والسرور الالهي السرمدي وقد اطلق ارسطاطاليس جميع
هذه الالفاظ وقال ان السعادة التامة الخالصة هي لله عز وجل ثم للملائكة والمتالهين قال ولا ينبغي ان
يضيف الى الملائكة تلك الفضائل التي عددناها في سعادات الانسان فانهم لا يتعاملون ولا يأخذ بعضهم من بعض
وديعة فيحتاج الى ردها ولا لاحد منهم تجارة فيحتاج الى العدالة ولا يفزعون شيئا فيحتاج الى النجدة ولا لهم نفقات فيحتاج
الى الذهب والفضة ولا لهم شهوات فيحتاج الى ضبط النفس والى فضيلة العفة ولا هو مركب من الاسطقسات

الاستقصات الاربعة التي تتحلل من اضدادها فيحتاج الى الغذاء فاين هؤلاء الابرار المطهرون من خلق الله عز وجل
غير محتاجين الى الفضائل الانسية والله تقدس تعالى اجل واعلى من ملائكته فيجب ان ننزهه عن جميع
ما ذكرناه من فضائل الانسان وانما نذكره بالخير البسيط الذي يشبهه وننسب اليه الامور العقلية التي يليق
بها نحو الواجب الذي لا مثنوية فيه لا يحبه الا السعيد الخير من الناس الذي يعرف السعادة والخير بالحقيقة
فلذلك يتقرب اليه بما يحبه ويطلب مرضاته بقدر طاقته ويتقبل افعاله بحسب استطاعته ومن احب الله تعالى
هذه المحبة وتقرب اليه هذا التقرب واطالعه هذه الطلاعة احبه الله ونزهه وارضاه في اسنى خلته التي اطلقها الشريعة
في البشر حتى قيل ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله صلى الله عليهما وسلم فاما ارسطاطاليس فانه اطلق بعد
ذلك ما لعله غير مطلق في لغتنا وذلك انه قال من احبه الله تعالى تعاهده كما يتعاهد الاصدقاء بعضهم
بعضا واحسن اليهم ولذلك تظن بالحكيم ضرب من الفرح العجيب وترى من يتحقق بالحكمة انه يلذ غاية اللذة
ولا يلتفت الى غيرها ولا يعرج على سواها واذا كان الامر على ما وصفنا فالحكيم السعيد التام السعادة والحكمة
هو الله عز وجل لا يحبه الا السعيد الحكيم بالحقيقة لان الشبيه انما يسر بشبيهه فقط ولذلك صارت هذه السعادة
ارفع واعلى من تلك السعادة التي ذكرناها وهي غير منسوبة الى الانسان لانها مهذبة من الحيوة الطبيعية مبرأة
من القوى النفسانية مباينة لجميعها غاية المباينة وانما هي موهبة الهية يهبها لمن اصطفاه من عباده لمن
انتهى منه سعيه لها ورغب فيها وانصرف عن حيوته واحتمل المشقة والتعب فان من يصبر على ادامة التعب اشتاق
الى اللعب وذلك ان اللعب يشبه الراحة والراحة ليست من تمام السعادة ولا من اسبابها وانما يميل الى الراحات
البدنية من كان طبيعي الشكل صبي الجبلة كالعبيد والصبيان والبهائم وليس احد ينسب الحيوان غير الناطق ولا
الصبيان والعبيد الى السعادة الا من كان مناسبا لهم واما العاقل الفاضل فانه يطلب بهمته اعلى المراتب وارسطو
يقول ليس ينبغي ان يكون همم الانسان انسية وان كان انسانا ولا يرضى بهمم الحيوان الميت وان كان هو ايضا ميتا
بل يقصد بجميع قواه ان يحيى حيوة الالهية فان الانسان وان كان صغير الجثة فانه عظيم بالحكمة شريف بالعقل
والعقل يفوق جميع الخلائق لانه الجوهر الرئيس المستولي على هذا الكل بامر مبدعه تعالى جده وقد قلنا فيما تقدم ان الانسان
ما دام في هذا العالم يحتاج الى حسن الحال الخارجة عنه ولكن لا ينبغي ان ينصرف الى طلب تلك بقوته كلها ولا

لیطلب الاستکثار منه فقد یصل الی الفضیلة من لیس بکثیر المال ولا طالم الیسار فان الفقیر من المال لا الملا لعقد یقصر الی
الکریمة ولذلک قال الحکماء ان السعداء هم الذین رزقوا القصد من الخیرات الخارجة عنهم وفعلوا الافعال التی
یقتضیها الفضیلة وکانت قنیاتهم قلیلة فهذا کلام الحکیم فی هذه المرتبة التی وصلنا الکلام فیها وهو قول بعض ذلک
لینبغی معرفة الفضایل کفایة بل الکفایة فی العمل بها واستعمالها من الناس من ینهض الی الفضایل ویتعنا
الموعظة ویرغب فی الخیر هولاء قلیلون هم الذین یمتنعون من جمیع الرذائل والشرور وذلک بالسنن الی
الجیدة والطبع الفایق ومنهم من ینقاد الی الخیرات حتی یمتنع من الرذالات والشرور والفزع والوعید والاتفاق
من العذاب فیتهرب من الجحیم والهاویة وما اعد فیهما من الآلام ولذلک حکمنا ان بعض الناس اخیار
بالطبع وبعضهم اخیار بالشرع وبالتعلیم لشریعة تجری لهولاء مجری الماء للغصان الذی یسیغ به غصة
فمن لاینقاد لها فهو کالشرق بالماء لایوجد له ما یسیغ به غصة وهو الهالک الذی لاحیلة فیه ولا طمع
فی اصلاحه وبرئه ولهذه العلة قلنا ان من کان بالطبع خیرا فاضلا فذلک لمحبة الله تعالی ایاه ولیس
امره الینا ولا نحن کاسبیه بل لله عز وجل ومثل هذا هو الذی یقول ارسطو ان عنایة الله به اکثر وقد تبیّن
مما قدمنا ان اصناف السعداء من الناس اربعة وهم موجودون بالتصفح والحس وذلک انا نجد من الناس
من هو خیر فاضل من مبدأ کونه نری فیه النجابة بتطفلا نتفرس فیه الفلاحة ناشیا بان یکون حیا کریما یؤثر
مجالسة الاخیار ومؤانسة الفضلاء وینفر من اضدادهم ولیس یکون کذلک الا بعنایة ملحقة من اول مولده
کما قلنا ونجد ایضا من لایکون بهذه الصفة من مبدأ کونه بل یکون کسایر الصبیان الا انه یسعی ویجتهد ویطلب
الحق اذا رای اختلاف الناس فیه ولایزال کذلک حتی یبلغ مرتبة الحکماء اعنی ان یصیر عالما حکیما وعاملا صوابا
ولیس یبلغ هذه الدرجة الا بالتفلسف واطراح الضعیات وما یجاذبها منه ونجد ایضا من یتخذ العبادة والسیرة
المعتادة علی اکراه اما بالتادیب الشرعی واما بالتعلیم الحکمی ومعلوم ان المطلوب هو القسم الثانی اذ کانت الاقسام
الباقیة هی من خارج ولایمکن ان یطلب اعنی ان من یتفق له فی اصل مولده السعادة ومن یکره علیها لیس من اقسام
الطالب المجتهد وتبین ایضا مقام المجتهد ومنزلته من السعادة التامة الحقیقیة وانه وحده من بین سایر الطبقات
هو السعید الکامل المتقرب الی الله عز وجل الحبیب المطیع المستحق خلته ومحبته کما تقدم وصفه فی هذه المقالة

المقالة الخامسة نذكر في هذه المقالة بعون الله وتأييده شفاء الامراض التي تلحق نفس الانسان وعلاجاتها ونذكر الاسباب والعلل التي تولدها وتحدث منها فان الحذاق لا يقدمون على علاج مرض جسماني الا بعد ان يعرفوه ويعرفوا السبب والعلة فيه ثم يرسمون معاملته باضداده من العلاجات ويبتدءون من الحمية والادوية اللطيفة الى ان ينتهوا في بعضها الى استعمال الاغذية الكريهة والادوية البشعة وفي بعضها الى القطع بالحديد والكي بالنار ولما كانت النفس قوة الهية غير جسمانية وكانت مع ذلك مستعملة لمركب خاص مربوطة به ربطا طبيعيا الهيا لا يعرف احدهما صاحبه الا بمشية الله الخالق جل وعلى وجب ان يعلم ان احدهما متعلق بصاحبه متغير بتغيره فيصح بصحته ويمرض بمرضه ونحن نرى ذلك مشاهدة وعيانا ويظهر لنا من افعالهما وذلك انا كما نرى المريض من جهة بدنه لاسيما ان كان سبب مرضه احد الجزئين الشريفين اعني الدماغ والقلب يتغير عقله ويمرض نفسه حتى ينكر ذهنه وفكره وتخيله وساير قوى نفسه الشريفة وحيث هو ايضا من نفسه بذلك كذلك ايضا نرى المريض من جهة نفسه

اما بالغضب واما بالحزن واما بالعشق واما بالشهوات الهائجة به يتغير صورته وبدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر
ويحمر ويهزل ويسمن ويلحقها ضروب التغاير المشاهدة بالحس فيجب لذلك ان يعتقد مبدا امراض نفوسنا فان كان مبداها
منا كالفكر فى الاشياء الردية واجالة الراى فيها وكاستشعار الحزن والخوف من الامور العارضة او المترقبة او
الشهوات الهائجة قصدنا علاجها بما نخصها وان كان مبداءها من المزاج او من الحواس كالحمى الذى مبدؤه
ضعف حرارة القلب مع الكسل والرفاهية وكالعشق الذى مبدؤه البطر مع الفراغ والبطالة قصدنا ايضا علاجها
بما يخص هذه ولما كان طب الابدان ينقسم بالقسمة الاولى قسمين احدهما حفظ صحتها اذا كانت حاضرة والاخر
ردها اليها اذا كانت غائبة وجب ان يقسم طب النفوس هذه القسمة بعينها ونتقدم فى حفظ صحتها اذا كانت
حاضرة فنقول اذا كانت النفس خيرة فاضلة تحب نيل الفضائل وتحرص على اصابتها وتشتاق الى العلوم الحقيقية
والمعارف الصحيحة يجب على صاحبها ان يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله ولا يانس بغيرهم ولا يجالس سواهم
ويحذر كل الحذر من معاشرة اهل الشر والنقص من المجان والمجاهرين باصابة اللذات القبيحة وركوب الفواحش
والمفتخرين بها المنهمكين فيها ولا يصغى الى اخبارهم مستطيبا ولا يروى اشعارهم متحفظا ولا يحضر مجالسهم مستمتعا وذلك ان
حضور مجلس واحد من مجالسهم وسماع خبر واحد من اخبارهم ورواية بيت واحد من اشعارهم يعلق من وضره ووسخه بالنفس
ما لا يغسل عنها الا بالزمان الطويل والعلاجات الصعبة وربما كان سبب الفساد الفاضل المحنك وغواية العالم
المستبصر حتى يصير فتنة لهما فضلا عن الحدث الناشئ والمتعلم المسترشد والعلة فى ذلك ان محبة اللذات البدنية
والراحات الجسمية طبيعية للانسان لاجل النقصانات التى فيه فنحن بالجبلة الاولى والفطرة السابقة نميل
اليها ونحرص عليها وانما نزم انفسنا عنها بزمام العقل حتى نقف عند ما يرسم لنا ونقتصر على
المقدار الضرورى منها وانما استثنيت فى اول الكلام ما استثنيت وشرطت ما شرطت لان
معاشرة الاصدقاء الذين ذكرت احوالهم فى المقالة المتقدمة وحكمت بتمام السعادة معهم
وبهم لا يتم الا بالمؤانسة والمداخلة ولا بد فى ذلك من المزاح المستعذب والحديث المستطاب
والفكاهة المصوبة واصابة اللذة التى يطلقها الشريعة ويقدرها العقل حتى لا يتجاوز بها الى الاسراف
ولا تقصر عنها تقصيرا وذلك ان الخروج الى احد الطرفين ان كان الى جانب الزيادة سمى مجونا وفسقا وخلاعة

خلاعة وما اشبههما من اسماء الذم وان كان الى جانب النقصان سمى فدامة وعيا وبكامة وما اشبهها من اسماء
الذم ايضا والمتوسطة بينهما هو الظريف الذى يوصف بالهشاشة والطلاقة وحسن العشرة ويعرض من الصعوبة فى حفظ
هذا الوسط ما عرض فى سائر الفضائل الخلقية وفيما يجب به من يحفظ صحة نفسه ان يلتزم وظيفة من الجزء
النظرى والجزء العملى لا يسوغ له الاخلال بها البتة تجرى للنفس مجرى الرياضة التى يلتزم فى حفظ البدن فان
الاطباء يعظمون امر الرياضة فى حفظ صحة البدن وذلك ان النفس متى تعطلت من النظر وعدمت الفكر والغوص
على المعانى تبلدت وتبلهت وانقطعت عنها مادة كل خير واذا الفت الكسل وتبرمت بالروية واختارت العطلة
قرب هلاكها لان فى عطلتها هذه انسلاخا من صورتها الخاصة بها ورجوعها الى رتبة البهائم وهذا هو
الانتكاس فى الخلق نعوذ بالله منه واذا تعود الحدث الناشى من مبدا كونه الارتياض بالامور الفكرية ولازم
التعاليم الاربعة الف الصدق واحتمل ثقل الروية والنظر وانس بالحق ونبا قلبه عن الباطل وسمعه عن الكذب فاذا بلغ
اشده انتقل الى مطالعة الحكمة استمر طبعه فيها ونشرت ما يستوضح منها ولم يرد عليه امر غريب ولا يحتاج الى كثير تعب فى
غوامضها واستخراج دفائنها ووصل الى سعادته التى ذكرناها سريعا وان كان حافظ هذه الصحة قد اتى
فى العلوم ببارع فلا يحملنه العجب بما عنده من ترك الازدياد فان العلم لا نهاية له وفوق كل ذى علم عليم ولا تتكاسلن
فى معاودة ما علمته وتفقده على سبيل الدرس له فان النسيان آفة العلم وليتذكر قول الحسن البصرى اقدعوا هذه
النفوس فانها طلعة وحادثوها فانها سريعة الدثور واعلم ان هذه الكلمات مع قلة حروفها كثيرة الغناء وهى مع ذلك فصيحة
قد استوفت شرائط البلاغة وليعلم ايضا حافظ هذه الصحة على نفسه انه انما يحفظ عليها نعما شريفة موهوبة
لها وكنوزا عظيمة مذخورة فيها وملابس فخرة مفرغة عليها وان كانت من كانت هذه المواهب الجليلة موجودة له
فى ذاته لا يحتاج الى تطلبها من خارج ولا بذل الاموال فيها العين ولا يتكلف العناء والمؤن الثقال فى تحصيلها
فاعرض عنها واهمل امرها حتى ينسلخ منها ويعرى منها الملوم فى فعله مغبون فى رايه غير رشيد ولا موفق ولا سيما و
هو يرى طالبى النعم الخارجة كيف يتجشمون الاسفار البعيدة الخطيرة ويقطعون السبل المخوفة الوعرة ويتعرضون
لضروب المكاره وانواع التلف من السباع العادية وطبقات الاشرار الباغية وهم يجتهدون فى كثير
الاحوال مع مقاساة هذه الاهوال وربما عرضت لهم الندامات المفظعة والحسرات المقطعة التى

يقطع انفاسهم ويفصل اعضاءهم فان ظفر بالشيء من مطالبهم كان لا محالة زائلا عن قريب ومعرضا للزوال وغير مطموع
في بقائه لانه من خارج وما كان خارجا عنا فهو غير ممتنع مما يلحق من الحوادث التي لا تحصى كثرة وصاحبه مع هذه الحال
شديد الوجل دائم الاشفاق متعوب الجسم والنفس يحفظ ما لا يجد الى حفظه سبيلا ويتحذر على ما لا يغني فيه الحذر فتيلا
وان كان طالب هذه الاشياء الخارجة عنا سلطانا او صاحب سلطان تضاعفت عليه هذه المكاره اضعافا كثيرة
بقدر ما يلابسه وبحسب ما يقاسيه من الاضداد والحساد على البعد ومن القريب وبكثرة ما يحتاج اليه من المؤن وفي استصلاح من
يليه وتألف من يطيعه ومداراة من يواليه ويعاديه وهو في كل ذلك ملوم ومستبطأ ومعيب مقصر يستزيده جميع اهله والمتصلين
به ولا سبيل له الى ارضاء احد منهم فضلا عن جميعهم ولا يزال يبلغه عن افضل الناس من اولاده وحرمه ومن يجري مجراهم
من حاشيته وخوله ما يملأه غيظا وحنقا فهو غير آمن على نفسه من تحاسدهم مع التحاسد الذي بينهم من مكايدة الاعداء
اياهم ومناواة الحساد لهم وجلبهم من المكاره ما لم يكن عنده فهو غني عند الناس وهو اشدهم فقرا ومسكنة وهو اكثرهم حاجة
وكيف لا يكون فقيرا وحد الفقير هو كثرة الحاجة فاكثر الناس حاجة اشدهم فقرا كما ان اغنى الناس اقلهم حاجة
ولذلك حكمنا حكما صادقا ان الله تعالى جده اغنى الاغنياء لانه لا حاجة به الى شيء من الاشياء وحكمنا
ايضا ان اعظم الملوك منا اشد الناس فقرا لكثرة حاجته الى الاشياء ولقد صدق ابو بكر حيث قال في خطبته
اشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك ثم صغر فقال ان الملك اذا ملك زهده الله فيما في يده ورغبه فيما
في يد غيره وانتقصه شطر اجله واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنه
لذة البهاء لا يستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسي والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا
وجبت نفسه ونضب عمره وضحا ظله حاسبه الله فاشد حسابه واقل عفوه الا ان الملوك هم المرحومون وهذه صفة
الملك اذا تمكن من ملكه لا يغادر منه شيئا ولقد سمعت اعظم من شاهدت من الملوك يستبعد هذا الكلام ثم
يستعبد الموافقة لما في قلبه وصدقه عن حاله وصفته ولعل من يرى ظاهر الملوك من الاسرة والفرش والزينة والآلات
ويشاهدهم في مراكبهم محفوفين بين ايديهم الجنائب والمراكب والعبيد والخدم والحجاب والحشم يرده خلاف
فيظن انهم مسرورون بما يراه لهم والذي خلفهم كما امامهم الفرح في هذه الاحوال شاغلوه عما يراه البعيد لهم ويتمناه
بالافكار التي تشوبهم وتعتريهم فيما حكيناه من مضراتهم وقد عبر بذلك في اليسير مما حكاه لنا ...

على كثير مما وصفناه ولعل بعض من يصل الى الملك والسلطان يلتذ في بدء الامر مدة يسيرة جدا بقدر ما يتمكن منه
ويتمتع بعينه ولكن سيجد بعد ذلك جميع ما ملكه كالشيء الطبيعي له لا يلتذه ولا يفكر فيه وتمتد عينه الى ما لا يملكه فلو ملك
الدنيا بحذافيرها لتمنى ضعفها او تعب همته الى البقاء الابدي والملك الحقيقي حتى يتبرم بجميع ما وصل اليه
وبلغته قدرته ومع ذلك ان حفظ الدنيا اصعب جدا لان طبيعتها من الانحلال والتلاشي ولما يضطر الملك
اليه من الامور التي وصفناها والاموال الجمة المصروفة الى الجند المرتبين والخدم المتوفقين والكنوز المعدة للآفات
والاحداث التي لا يؤمن طروقها فهذه حال طلاب النعم الخارجة عنا فاما النعم التي هي في ذواتنا فانها موجودة
عندنا وفينا وغير مفارقة لنا لانها موهبة الخالق عز وجل فقد امرنا باستثمارها والترقي فيها فاذا امتثلنا امره
اثمرت لنا نعما بعد نعم ورقتنا في درجة فوق درجة حتى يؤدينا الى النعيم الابدي الذي وصفناه فيما تقدم
وهو الملك الحقيقي الذي لا يزول والغبطة الابدية الصافية التي لا تحول فمن احسن ضعفة واظهر سقطه
ممن اضاع جواهر نفسه باقية هي عنده موجودة له وطلب اغراضا خسيسة فانية ليست عنده ولا موجودة
له فان اتفق ان يجدها لم يبق له ولم يترك عليه وذلك انها ينتقل عنه او ينتقل عنها لا محالة فلذلك
قلنا ينبغي لمن رزق الكفاية ووجد القصد من السعادة الخارجة ان لا يشتغل بفضول العيش فانها بلا نهاية
ومن طلبها اوقعته في مكاره لا نهاية لها وقد علمناك فيما تقدم ما الكفاية والقصد وان الغرض الصحيح
منها هو مداواة الآلام والتحرز من الوقوع فيها لا التنعم وطلب اللذة فان من عالج الجوع والعطش
الذين هما مرضان والمان حادثان لا ينبغي له ان يقصد لذة البدن بل صحته ثم يستلذ لا محالة فان
طلب بالعلاج اللذة لا الصحة لم يحصل له الصحة فاما من لم يرزق الكفاية ويحتاج الى السعي والاضطراب
في تحصيلها فيجب عليه ان لا يتجاوز القصد بقدر حاجته منها الى ما يضطر معه الى السعي الخبيث والحرص
الشديد والتعرض لمقابح المكاسب وغضب لها المهالك والمعاطب بل يجمل في طلبها اجمال العارف بخساستها انه انما
يضطر اليها لتتمة ما به فيطلب منها ما يطلب سائر الحيوان من ضرورة اقواتها فان العاقل اذا تصفح احوال الحيوان وجد منها ما ياكل
الميتة ومنها ما ياكل الروث والحشيش وهي مسرورة بما تجده من اقواتها قريرة العين بما يسد جوعها مع نفوسها
[illegible] كما يستغني بعض الحيوانات المتضادة لها بل انما ينشر عن اقوات تلك الاخر التي

بضادها من النظافة ومثال ذلك انحلال الغذاء واستحالته الى الفضل ثم ان تلك تهرب من الروائح الطيبة والاقوات
اللطيفة وهذه تطلبها وتسر بها فاذن نسبة كل جوهر الى قوته الخاص به كنسبة الحيوان الاشرف الى قوته الخاص وكل يجتمع
بما يحفظ بقاءه وحيث طالب الجوهرية فيستوي ان ينظر الى اقواتها بعين العين ويترك ما منه لها الى القوى يضطر الى طلبها
لاخراج ما كنا نحرص على الوصول اليه فلا نبعد هما من الاخر لانهما ضروريان لنا فنحن لا نبهما الا لاجل الضرورة ولا نشغل
عقولنا باختيارهما والتمتع بهما وافناء اعمارنا في التأنق لهما والتوصل اليهما ولا نتكاسل ايضا عن اعدادهما لتنا منهما
وانما يفضل احدهما على الاخر ويستحسن السعي في طلب الدخل ولا يستحسن السعي في طلب الخرج لان الاول منهما هو غذاء موافق
لنا يخلف علينا ما تحللت من ابداننا وكما لا نستوحش ولا ننفر من ابداننا ولا نستقذرها كذلك لا ننفر مما يصنعه مكان
ما ينقص منه وينوب عنه واما الثاني منهما فعصارة ذلك الغذاء وما نفته الطبيعة ولجذب ما حاجتها منه اعني الذي
احالته وما صافيا وفرقته في العروق على الاعضاء واطرحت الثقل الذي لا حاجة بها اليه وهي في غاية المخالفة والبعد من
امزجتنا فنحن نستوحش منه ونتفرعنه لاجل الضدية والمخالفة الا انا مضطرون الى اخراجه وتنحيته وتعضر عنا
بالالات الموهوبة لنا المستعملة في ذلك لنفرغ مكانه لما يأتي بعده ويجري مجراه وينبغي لحافظ الصحة على نفسه ان لا يحرك
قوته الشهوية ولا قوته الغضبية بتذكر ما اصاب منهما ونجد لذة بهما بل يتركهما حتى يتحركا لانفسهما اعني بهذا
ان الانسان ربما يذكر لذاته من اصابة الشهوات ومراتبه من كرامة السلطان وعزها فاشتاق اليها واذا اشتاق
اليها تحرك نحوها واذا تحرك نحوها فقد جعلها غرضا له فيضطر الى استعمال الروية واستخدام النفس الناطقة فيه
ليدله الوصول اليه وهذه صورة من يهيج سباعا ضارية ويهيج سباعا ضارية ثم يلتمس مع تهيجها الخلاص منها وليس
يختار العاقل لنفسه هذه الحال بل هو من افعال المجانين الذين لا يميزون بين الخير والشر ولا بين الصواب والخطأ فلا
ينبغي ان لا نتذكر اعمال هاتين القوتين لئلا نشتاق اليهما فنتحرك نحوهما بل نتركهما فانهما سيتحركان لانفسهما ويهيجان عند
حاجتهما والنقصان ما يحتاج البدن اليه ونجد من باعث الطبيعة ما يغنيك عن بعثهما بالفكر والتمييز ويكون حينئذ الفكر
وتمييزك في ازاحة علتهما وتقدير ما يطلقه لهما في الامر الضروري الواجب لا بقاء لنا الحافظ لصحتنا وهذا هو صناعة شبيهة
بما تم شيئا الله تعالى وتقدس لنا ووهب هاتين القوتين لنا لنستعين بهما عند حاجتنا اليهما لا لنخدمهما ونتعبد لهما فنكون
مستخدمين للنفس الناطقة في خدمة عبيدها فنعكس ما اراده الله وتعكس حدوده وعكس سياسته وتقديره ولا اصل الحسن

اشرف وافضل من شيا وتقديره فكل من خالفه وعدل عنه فهو اعظم جاهل جانح اثره واعظم ظالم لنفسه وينبغي يحافظ

الصحة على نفسه ان يطلق نظره في كل ما افضل يدبر ويستعمل فيه الات بدنه ونفسه لئلا يجري فيها على عادة تقدمته

له فخالفه لما يوجبه تمييزه ورويته فما اكثر ما يعرض للانسان ان يبذل منه في خلاف ما قدم فيه عزيمته وعقد عليه نيته

عرض له مثل هذا فيجب عليه ان يضع لنفسه عقوبات يقابل بها امثال هذه الذنوب فاذا انكر من نفسه مبادرة الى

طعام ضار او شراب صحته فقد كان استشعرها او تناول فاكهة غير نافعة او حلو كذلك عاقب نفسه بصوم لا يفطر فيه

الا على الطعم ما يقدر عليه وتعلله وان امكنه الطي فليطو ويزيد في الحمية من غير حاجة اليها او لكن في توبيخه لنفسه

ان يقول لها انك قصدت تناول النافع فتناولت الضار وهذا فعل من لا عقل له ولعل كثيرا من البهائم احسن حالا

منك لانه ليس فيها ما يقصد لذة لها فيتناول ما يؤلمها فاستنكا لان للعقوبة وان انكر من نفسه مبادرة

الى الغضب في غير موضعه او على من لا يستحقه او زيادة على ما يجب منه فليقابل ذلك بالتعرض لسفيه يعرضه بالبذاء

ثم يحتمله او ليبذل الشيء لمن يعرفه بالخيرية فمن كان لا يتواضع له قبل ذلك او ليفرض على نفسه ما لا يخرجه صدقة

وليجعل ذلك نذرا عليه لا يخل به وان انكر من نفسه كسلا وتوانيا في مصالحه فليعاقب نفسه بسعي فيه مشقة او صلاة

فيها طول او بعض الاعمال الصالحة التي فيها كد وتعب وبالجملة فلا يرسم على نفسه رسوما تصير عليها فرايض محكمة لا

تخل بها ولا تترخص فيها واذا انكر في نفسه مخالفة لعقله ومجاوزة للرسوم ليحذره في جميع اوقاته ملابسة رذيلة او ساعة

رموق او مخالفة صواب لا يستحقرن شيئا نابته من صغاير السيئات ولا يطلبن رخصة فيها فان ذلك يدعو الى

ما هو اعظم منها ومن تعود في مبداء نشوه وحداثة شبابه ضبط النفس عن شهواته والحلم عند ثورة غضبه وحفظ لسانه

وحتم الى ان يخف عليه ما يثقل على غيره ممن لا يتادب بهذه الاداب بيان ذلك انا نجد العبيد واشباههم اذا بلغوا

الى السفهاء عليهم وشتم اعراضهم ما عليهم الخطب فيما يشتمون به حتى لا يؤثر فيهم وربما ضحكوا عند سماع مكروه شديد

ضحكا غير متكلف ويلهون عند ذلك اعمالهم وادعين طلقين غير قلقين وقد كانوا قبل ذلك شرسين غضوبين غير

حليمين ولا مستكنين عن الاجوبة والانتقام بالكلام وطلب التشفي بالخصام وهذه سبيلنا اذا الفنا الفضايل و.

تجنبنا الرذايل وامسكنا عن مقابلة السفهاء ومجازاتهم والانتقام منهم ويجب على حافظ الصحة على نفسه ان يتشبه

بالملوك الموصوفين بالحزم فانهم يستعدون للاعداء بالعدة والعتاد والتحصن قبل هجوم العدو عليهم في حملة من زمانهم

وفي التشاغل من نظرهم ولو عقلوا لعلموا أن تحريم المكان وتطبيقهم التزايد لأنه لولا الأمر الحيلة من الرغيب الشديد

فعلى هذا الأصل يجب أن يبنى الأمر في الاستعداد لأعدائنا من الشرة والغضب بما أوردنا من المقالات تعود النفس

الصبر عليه والحلم عمن ينبغي أن يحلم عنه وضبط النفس عن الشهوات الردية ولا تنظر في منه الى بل عرضت لنا

عند ذلك صعب علينا ولعله غير ممكن البتة ويجب على حافظ الصحة على نفسه أن يتطلب عيوب نفسه بأن يستقصي استقصاء شديدا ولا يقنع

بما قاله جالينوس في ذلك في كتاب ذكره في كتابه المعروف بتعرف المرء عيوب نفسه أنه لما كان كل إنسان يحب نفسه خفيت عليه

مساويه ولم يرها وإن كانت ظاهرة وأشار في كتابه هذا بأن يختار الرجل أن يرى من العيوب صديقا كاملا فاضلا

مخبرا بعد طول المؤانسة أنه إنما يعرف صدقه إذا سأله عن عيوبه حتى يخبره بها ويأخذه بها على ذلك ولا يحتشمه فإذا قال له

لا أعرف لك عيبا بل يعتب عليه وينكر ما يقوله ويعلمه أنه قد اتهمه بالخيانة ويعاود مسألته ولا يلح عليه فإن لم يخبره

بشيء من عيوبه فليظهر له حرقة وعتبا ويزيد في الرغبة إليه فإن أخبره بشيء من عيوبه وقليلا فإذا أخبره ببعض ما يعلم

منه فلا يظهرن له في وجهه ولا في كلامه كراهية ولا انقباض بل يبسط له وجهه ويظهر السرور بما أخبر إليه وينبه عليه بالشكر

الأيام في أوقات المؤانسة يتطرق له إلى هذا السبيل ثم ليعالج ذلك العيب بأن يزيل أثره ويخفي له ليعلم ذلك الصديق الباعث

إنك من وراء صلاح نفسك وفي طريق علاج مرضك فلا تنقبض عن معاودتك ونصيحتك وهذا الذي أشار به

جالينوس معنى يسير ولا مطمع فيه ولعل العدو في هذا الموضع أنفع من الصديق فإن العدو لا يحتشم في إظهار عيوبنا

بل يتجاوز بما يعرف منها إلى التخرص والتكذيب فيها فنتنبه على كثير من عيوبنا من جهتهم ومجالسنا معهم في ذلك

أخيار الناس فيتفضلوا بأعدائهم وهذا مما لا يختلف فيه أحد وذلك لما ذكرناه فأما ما اختاره أبو يوسف يعقوب

بن إسحاق في ذلك فهو ما أحكيه بألفاظه وهو هذا قال ينبغي لطالب الفضيلة أن يتصور جميع معارفه من الناس مرآة

له تريه صورة كل واحد منهم عندما يعرض من الآلام التي تعتري الناس حتى لا يغيب عنه شيء من السيئات التي له وبذلك يكون

متفقدا سيئات الناس فإن رأى سيئة عادية من أخلاقهم نفسه عليها كأنه من فعله أنكرها على نفسه في

كل يوم وليلة جميع أفعاله حتى لا يشذ عنه منها شيء فإنه أن يجتهد في نفسه التصفح من الطهارة الذهنية والأمور الفا

الغريبة منا التي لا ينبغي البتة في كل يوم ولا يحفظ ما يمضي من نذوراتنا التي تتغير بها أفعالنا ونصا

فنأمرنا فإذا وقفنا على سيئة من أفعالنا اشتد علينا أن نعود عليها ثم حلها ولا يحيلها

الفضائل خيرها وجعلنا فيها سيئة ما بينا ايضا فنوسنا عليها فان النفس حينئذ عن السابحين تالف غلط ساوى
منها الى الاشتغال بما لا يأتي عليها زمان طويل فيضعف ذكرها فلذلك ينبغي ان نعمل في الحسنات لنسرع اليها ولا
يفوتنا شيء منها قال وقد ينبغي ان لا نقنع ان نصير اشباه الدفاتر والكتب التي تفيد غيرها معاني الحكمة وهي عادمة
افتقارها كالمسان التي تشحذ ولا تقطع بل نكون كالشمس المفيدة القمر كلما اشرقت عليه انارة من فيض نورها
فيفعل القمر ما تفعل الشمس اشباهها وان نعصم عن نوبها فكذا ينبغي ان يكون حالتنا اذا فزنا بخير الفضائل هذا الذي
ذكره الكندي في ذلك ابلغ مما قاله من تقدمه القول في رد الغضب على النفس ان لم يكن حاضرة وهو القول
في علاج امراضها مستكملة بذكر اجناس هذه الامراض الغالبة ثم بمداواة العظمى لاعظم منها نكاية والاكثر فالاكثر
منها جناية فنقول لما اجناسها العالية فهي مقابلات الفضائل الاربع التي احصيناها في مبدأ الكتاب ولما كانت
الفضائل اوساطا محدودة واعيانا موجودة امكن ان نطلب فنقصد وننتهي اليها بالحركة والسعي والاجتهاد واما
النقط التي ليست باوساطها فانها غير محدودة ولا لها اعيان موجودة ووجودها بالعرض لا بالذات ومثال
ذلك ان الدائرة لها مركز واحد وهي نقطة واحدة لها وجود في ذاتها فتقصد ويشار اليها وان لم نجدها حسا
ولم يمكننا الاشارة امكننا استخراجها واقامة البرهان عليها وانها هو المركز دون غيرها من النقط واما التي ليست
بمركز فهي بالاضافة ولا وجود لها بالذات وانما يوجد اذا فرضت فرضا وليست لها عين قائمة فلذلك لا تقصد
ولا يمكن استخراجها لانها مجهولة ولانها شائعة في جميع بسيط الدائرة فاما الطرفان اللذان يسميان متضادين
فهما موجودان معينان لانهما طرفا خط مستقيم معين والبعد بينهما غاية البعد ومثال ذلك انا اذا اخرجنا
من مركز الدائرة خطا مستقيما الى المحيط صار طرفاه محدودين احدهما المركز والاخر نهايته والبعد بينهما غاية
البعد ومثاله من المحسوس البياض والسواد فان احدهما مضاد للاخر وهما محدودان والبعد بينهما غاية البعد فاما
الاوساط التي بينهما فهي بلا نهاية وكذلك الالوان هي بلا نهاية واما اطراف الفضيلة فلما كانت اكثر من واحد
لم يسم ضدا لان لكل شيء ضدا واحدا ولا يمكن ان يوجد اضداد كثيرة لضد واحد والسبب في ذلك
ان البعد بينهما غاية البعد وقد نجد الفضيلة الواحدة اكثر من طرف واحد وذلك انا اذا توهمنا الفضيلة مركزا
واخرجنا منه خطا مستقيما الى الفضيلة الى نهاية امكننا ان نخرج من جانب المقابل له خطا اخر على استقامة

له نهاية اخرى ويصيران جميعا متقابلين للمركز الذى فرضنا فضيلة الا ان احدهما يجرى مجرى الافراط والغلو
والاخرى يجرى مجرى التفريط والتقصير واذ قد تقرر ذلك فليعلم ان لكل فضيلة طرفين متضادين لا يمكن الاشارة اليهما
واوساطا بينهما كثيرة لا نهاية لها ولا يمكن الاشارة اليها الا ان الوسط الحقيقى هو واحد وهو الذى سميناه فضيلة
ثم ليعلم انا بحسب هذا البيان نجعل الرذائل ثمانية لانها ضعف الفضائل الاربع التى تقدم شرحها وهى هذه التهور
والجبن طرفان للوسط الذى هو الشجاعة الشره والخمود طرفان للوسط الذى هو العفة البله والدها طرفان للوسط
الذى هو الحكمة الجربزة والبلاهة اعنى الظلم والانظلام طرفان للوسط الذى هو العدالة وهذه اجناس للامراض
العالية التى تقابل الفضائل التى هى صحة النفس وتحت هذه الاجناس انواع لا نهاية لها ونبتدئ بذكر التهور والجبن
اللذين هما طرفا الشجاعة وهى فضيلة النفس وصحتها فنقول ان سببهما ومبداهما النفس الغضبية ولذلك صارت
البلية باسرها من علائق الغضب والغضب بالحقيقة هو حركة للنفس يحدث بها غليان دم القلب شوقا الى الانتقام
فاذا كانت هذه الحركة عنيفة اججت نار الغضب واضرمتها واحتد غليان دم القلب وامتلأت الشرايين والدماغ
دخانا مظلما مضطربا تسوء منه حال العقل ويضعف فعله ويصير مثل الانسان عند ذلك على ما حكته الحكماء
مثل كهف ملئ حريقا واضرم نارا فاختنق فيه اللهب والدخان وعلا منه الاجيج والصوت المسمى وحى النار فيصعب علاجه
ويتعذر اطفاؤه ويصير كلما تدنيه منه للاطفاء سببا لزيادته ومادة لقوته فلذلك يعمى عن الرشد ويصم عن الموعظة
بل يصير المواعظ كلها فى تلك الحال سببا للزيادة فى الغضب ومادة للتلهب والتاجج وليس يرجى له فى تلك الحال
حيلة وانما يتفاوت الناس فى ذلك بحسب المزاج فمتى كان للمزاج حارا يابسا كان قريب الحال من حال الكبريت الذى
اذا ادنيت منها الشرارة الضعيفة التهب وان كان بالضد صارت حالة بالضد وهذا فى مبدا امره وعنفوان
حركة الغضب فاما اذا احتدم فيكاد الحال يتقارب فيه وتصور ذلك من الحطب اليابس والرطب وتمثيل مبدا
اشتعال النار بسرعة وشدة من الكبريت والنفط ثم التدرج منها الى الادهان المتوسطة الى ان ينتهى الى الاحتكاك
فان للاحتكاك وان كان ضعيفا فى توكيد النار فربما قوى حتى يلتهب منه الاجسام الطبيعية والغيضة الاشبة الملتفة وكذلك
مثال السحاب الذى من البخارين كيف يحتك حتى يتقدح بينهما النيران وينزل منهما الصواعق التى لا تثبت لشيء مما تقع
عليه ولا يفارق ما يتعلق به حتى يصيره رمادا وان كان جبلا املس وحجرا اصم واما سقراطيس فانه قال انى للسفينة اذا

اذا عصفت بها الرياح وتلاطمت عليها الامواج وقذفت بها الى اللجج التي فيها الجبال ازدى من الغضبان الملتهب
وذلك ان السفينة في تلك الحال تلطف لها الملاحون ويخلصونها بضروب الحيل فاما النفس اذا استشاطت غضبا
فليس يجدي فيها حيلة البتة وذلك ان كل ما رمي به الغضب من التضرع والموعظة والخضوع يصير بمنزلة الجزل من الحطب
يهيجه ويزيده اسعارا فاما اسبابه المؤكدة فهي العجب والافتخار والمرا واللجاج والمزاح والتيه والاستهزاء والغدر والضيم
وطلب الامور التي فيها عزة ويتنافس الناس فيها ويتحاسدون عليها وشهوة الانتقام غاية لها لانها باجمعها ينتهي اليه ومن
لواحقه الندامة وتوقع المجازاة بالعقاب عاجلا واجلا وتغير المزاج وتعجيل الالم وذلك ان الغضب جنون ساعة وربما
ادى الى التلف باختناق حرارة القلب فيه وربما كان سببا لامراض صعبة مؤدية الى التلف ثم مقت الاصدقاء
وشماتة الاعداء واستهزاء الحساد والاراذل ولكل واحد من هذه الاسباب علاج يبدأ به حتى يقطع من اصله فاما اذا اتفق
بحسم هذه الاسباب وما طبها فقد اذهبنا قوة الغضب وقطعنا مادته وامنا غايلته فان عرض لنا منه عارض
كان بحيث يطيع العقل ويلتزم شرائطه وحدثت فضيلة اعني الشجاعة فيكون حينئذ اقداما على ما تقدم عليه كما
يجب وبحيث يجب وبالمقدار الذي يجب وعلى من يجب اما العجب فحقيقته اذا حققناه انه ظن كاذب بالنفس في استحقاق
مرتبة هي غير مستحقة لها وحقيق على من عرف نفسه ان يعرف كثرة العيوب والنقصانات التي تعتورها وان الفضل
مقسوم بين البشر وليس يكمل الواحد منهم الا بغيره وكل من كانت فضيلته عند غيره فواجب عليه ان لا يعجب بنفسه
وكذلك الافتخار فان الفخر هو المباهاة بالاشياء الخارجية عنا ومن باهى بما هو خارج عنه فقد باهى بما لا يملكه و
كيف يملك ما هو معرض للافات والزوال في كل ساعة وكل لحظة ولسنا على ثقة منه في شيء من الاوقات
واصح الامثال واصدقها فيه ما قال الله عز وجل حيث قال واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب
الى قوله فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ثم قال تعالى واضرب لهم مثل
الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل
شيء مقتدرا وفي القران من هذه الامثال شيء كثير وكذلك في الاخبار المروية عن النبي صلى الله عليه واله وسلم
واما المفتخر بنسبه فاكثر ما يدعيه اذا كان صادقا ان اباه كان فاضلا فلو حضر ذلك الفاضل وقال ان الفضل الذي تدعيه
انا مستبد به دونك فما الذي عندك منه مما ليس عند غيرك لافحم واسكت وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه واله

في هذا المعنى اخبار صحيحة منها انه قال عليه السلام لا تاتوني بانسابكم واتوني باعمالكم ويحكى عن بعض
الفلاسفة انه افتخر عليه بعض رؤساء زمانه فقال له ان افتخرت علي بفرسك فالحسن والفراهة للفرس لا لك وان افتخرت
بثيابك وآلاتك فالحسن لها دونك وان افتخرت بآبائك فالفضل كان فيهم دونك فاذا كانت المحاسن والفضائل خارجة
عنك وانت منسلخ منها وقد رددناها على اصحابها بل لم تخرج عنهم فقد رد عليهم فمن انت ويحكى عن بعض الفلاسفة
انه دخل على بعض اهل اليسار والثروة وكان يحتشد في الزينة ويفتخر بكثرة ماله وآلاته فحضرت الفيلسوف بزقة فتنخمها
والتفت في البيت يمينا وشمالا ثم بزق في وجه صاحب البيت فلما عوتب على ذلك قال اني نظرت الى البيت
وجميع ما فيه فلم اجد هنا اقبح منه فبزقت وهكذا الشقي من كان بناء امر فضائل نفسه بل افتخاره بالخارجات عنه واما اللدد
واللجاج فقد ذكرنا قبح صورتهما في المقالة التي قبل هذه وما يلزمهما من الشتات والفرقة والتباغض بين الاخوان واما
المزاح فان المقدار المعتدل منه محمود وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وكان امير المؤمنين
عليه السلام كثير المزاح حتى عابه بعض الناس به فقال لولا دعابة فيه ولكن الوقوف على المقدار المعتدل منه صعب والكثير
يتعدى به ولا يدري ان يقف منه فيخرج عن حده ويروم الزيادة فيه على صاحبه حتى يصير سببا للوحشة فيثير غضبا كامنا
ويزرع حقدا باقيا فلذلك عددناه من الاسباب فينبغي ان يحذر منه من لا يعرف حده ويذكر قول القائل رب جد جره اللعب
او له مزاح ثم هيج فتنة لا يهتدى بعلاجها واما التيه فهو قريب من العجب والفرق بينهما ان المعجب بنفسه يكذب نفسه فيما يظن بها
والتياه يبنيه على غيره ولا يكذب نفسه الا ان علاجه علاج المعجب بنفسه وذلك بان يعرف ان ما يتيه به لا معنى له عند العقلاء
وانهم ايضا لا يعتدون به فتسقط قدره وتزيد تحطه من السعادة ولانه متغير زائل غير موثوق ببقائه واما الاستهزاء فانما
يستعمله المجان من الناس والساخرة ومن لا يبالي بما يقابل به لانه قد يضع في نفسه احتمال مثل ذلك واضعافه فيرضى حالة
قرير العين بضروب الاستخفاف التي تلحقه وانما يتعيش بالدخول تحت الذلة والصغار بل انما يتعرض بقليل ما يبتذل به
الكثير مما له من الحرمات غير المعهودة ينال اليسير والفاضل يعيد عن هذا المقام بكبر نفسه ورفعه عن مثل هذه السخافة ولا
بجميع خزائن الملوك فضلا عن الحقير النافذ واما الغدر فوجوه كثيرة اعني انه قد يستعمل في المال وفي الجاه وفي الحرم وفي المودة وجميعها على
كثرة وجوهه مذموم يكل اللسان عن عيبه كل حد يبلغ السامع من ذكره ولا يعترف به انسان وان قل حظه من الانسانية
وليس يوجد الا في جنس من اجناس العبيد ويتحاماه الناس بانفسهم سائر اجناس العبيد ذلك لانه

من يجد وحشة الارض وحشته والنوبة فقد شاهدنا من حسن وملكنا كثيرا من الصيد لم اشاهد الاكثر من النفس بالاحرار
ومن حرص جمع المال بأسره ونحو العقلاء منه ثم عرف معناه فليس يستوله خاصة من الطبيعة لو ورد ما تقدم
في هذا الكتاب ويتعلق به ما انتهى في قراءته الى هذا الموضع فاما الضيم فهو تكليف احتمال الظلم والنصب لما يعرض انفة
منه وشهوة للانتقام وقد ذكرنا فيما تقدم حال الظلم والانظلام وشرحنا الحال فيهما فينبغي ان لا نتسرع الى الانتقام
منه فيما جلبنا حتى ننظر فيه ونتيقن ان لا يقع علينا الانتقام بما هو اعظم من احتمال ذلك الضيم وهذا النظر احد
هو استشارة العقل وحكمها لم يعتبه فاما المطالب الامور التي فيها عزة ويتنافس فيها الناس فخطأ من الملوك والعظماء
فضلا عن اوساط الناس وذلك ان الملك اذا حصل في خزانته علق كريم نفيس فهو متعرض به للجزع عليه عند
فقده ولا بد من حلول الآفات به لما عليه طبيعة العالم اعني عالم الكون والفساد من تغير الامور واحالتها
واذا كان الفساد على كل ما يدخر ويقتنى فاقتناء الملك ذخيرة عزيزة التي تظن انه ما يتعجل الفجيعة بها يعز عليه
يبين فقده الى نظيره الذي لا يجده فيطلع الصديق والعدو على حزنه وكآبته وقد حكي عن بعض الملوك انه اهدي اليه قبة
بلور صافية عجيبة الشكل محكمة الخرط قد استخرج منها اساطين وصور خاطر بها صانعها بعد ان جرى في تفصيل نقوشه
الخروق والتجاويف التي بين الصور والازرار فلما حصلت بين يديه كثر تعجبه منها واعجابه بها وامر بان رفعت في خاص خزانته فلم
يلبث عليها كثيرا حتى اصابها ما يصيب مثلها من الكسر فبلغ ذلك الملك فظهر من الاسف والجزع ما منعه من التصرف
في امره والنظر في مهماته والجلوس بمجلسه ومجاشيه واجتهد الناس في ان يوجدوا شيئا يشبهه فتعذر عليهم فظهر ايضا من عجزه
واستكانته وشدة ما تضمنه ما صحب خبره وحديثه فاما اوساط الناس فهمه حتى دخل الله كريمه وجد من انفسنا النفقة
مما كان لنا فيما والشبه هذه الاشياء التي منه من لا يمكن وجود مثلها فان صاحبها يخل عليه بما تقدم عرض نفسه نعمته
للبلاء ما دام يتمتع بها المقتني من الجزع والغم ما كان مستغنيا عنه فاما الاحجار التي يتنافس فيها من اليواقيت واشباهها مما يعتقد
عنه الافة في نفسها فليس تتخلص من الافات الخارجية منها من السرقة وسوء الحيل فيها واذا ادخرها الملك قل انتفاعه بها
عند حاجته اليها ومرادها عدم الانتفاع بها وحقيقة ذلك ان الملك اذا اضطر اليها لم ينفعه في عاجل امره وقد شاهدنا من تقدم
شاهدنا اضطرار الملك فحصل في حصن لما احتاج اليها بعد فناء امواله ونفاد ما في خزائنه وقلاعه لم يجد لها الا ثمنا ثمنها
اخذ لما وصل اليها الجواهر النفيسة في حاجته الى رغيفه في بعض قبضها ولا يقدر على قليل الا كثير من اثمانها وهي مبذ

مبتذلة في ايدي الملاحين والتجار والسوقة يتحلون بها ولا يقدرون عليها من عند غيرهم على شيء منها لم يتناسبوا فيغضبوا
من تتبعه بعد ذلك وظهور له فيشتريه منهم فيعرض حال هذه الذخائر عند الملوك حاجة التجار الى سوء بهم صنعة التجارة
اعني لهم سيان صالح تكون من الذهب ولم من الشرب وحينئذ تكون بضاعتهم شبيهة بالكاسدة لانها لا تنفق الا على الملوك
المولعين الذين لا يهمهم شيء من نوائب الدهر وقد استمر بهم الخفض فغفلت اموالهم عن الحزم والفلاح فهم في غرة من
الزمان فيقعون في مثل هذه الخدائع ثم يؤول عاقبتهم الى ما حكيناه منه فهذه اسباب الغضب وكالامراض الحادثة
منها وقد ذكرنا علاجاتها وحذرنا من اسبابها والوقوع فيها ومن عرفت العدالة وتخلق بها كما كتبناه فيما تقدم سهل
عليه علاج هذا المرض لانه من يخرج عن الاعتدال ولذلك لا ينبغي ان نسميه باسماء المديح اعني بذلك
ان قوما يسمون هذا النوع من الجهل اعني الغضب في غير موضعه رجولية وشدة شكيمة ويذهبون به مذهب الشجاعة
التي هي بالحقيقة اسم مدح وشتان ما بين المذهبين فان صاحب هذا الخلق الذي ذممناه يصدر عنه افعال رديئة
كثيرة يجور فيها على نفسه ثم على اخوانه ثم على الاقرب فالاقرب من معامليه حتى ينتهي الى عبيده وخدمه ومن يتكفل به فيكون عليهم
عذابا لا يقيلهم عثرة ولا يرحم لهم عبرة وان كانوا براء من الذنوب غير مجرمين ولا مكتسبين شيئا بل يتجرم عليهم
ويهيج من ادنى سبب يجد طريقا اليه حتى يبسط لسانه ويده عليهم وهم لا يمتنعون منه ولا يتجاسرون على رده عن نفسهم
بل يذعنون له ويقرون بذنوب لم يقترفوها استكفافا للشر وتسكينا لغضبه وهو في ذلك مستمر على طريقته لا يكف
يدا ولا لسانا وربما تجاوز في هذه المعاملة الناس الى البهائم التي لا تعقل والى الاواني التي لا تحس فان صاحب هذا
الخلق الردئ ربما قام الى الحمار والبرذون والى الحمام والعصفور فيتناولها بالضرب والمكروه وربما عض القفل
اذا تعسر عليه وكسر الآنية التي لا يجد فيها طاعة لامره وهذا النوع من رداءة الخلق مشهور في كثير من الجهال
يستعملونه في الثوب والزجاج والحديد وسائر الآلات واما الملوك من هذه الطائفة فانهم يغضبون على الرياح والبحر
اذا هبت على غير مرادهم وعلى القلم اذا لم يجر على رضاهم فيسبون ذلك ويكسرون هذا وكان بعض من شهدناه من
الملوك يغضب على البحر اذا تأخرت فيه سفينة لاضطراب حركة امواجه حتى يهدده بطرح الجبال فيه وطمه بها وكان بعض
السفهاء في عصرنا يغضب على القمر ويهجوه بشعر له مشهور وذلك انه كان يتأذى به اذا نام فيه وهذه الافعال كلها تجتمع
لصاحبها مع قبحها مضحكة يهزأ بصاحبها وكيف يليق بالرجولية والشدة وشرف النفس وعزتها وهي بالمذمة [illegible]

أولى منها بالتهيج وأسرع حفظا لها في الغضب والشدة ونحن نجدها في النساء أكثر منها في الرجال وفي المرضى الضعفاء أسرع
منها في الأصحاء الأشداء ونجد الصبيان أسرع غضبا من الرجال والشيوخ أكثر ضجرا من الشبان ونجد رذيلة الغضب
مع رذيلة الشره فإن الشره إذا تعذر عليه ما يشتهيه غضب وضجر على من يهيئ طعامه وشرابه من نسائه وخدمه وحشمه
من يلابسه ورذيلة البخل إذا فقد شيئا من ماله يسرع بالغضب على أصدقائه ويوجه تهمته إلى أهل الثقة من
خدمه ومن إليه وهؤلاء الطبقة لا يحصلون من أخلاقهم إلا على فقد الصديق وعدم النصيح على الندم السريع واللوم
الوجيع وهذه خلال لا يلزم منها غبطة ولا سرور وصاحبها أبدا محزون كئيب منغص العيشة متبرم بأموره وهي حال الشقي
المرحوم فأما الشجاع العزيز النفس فهو الذي يقهر بحلمه غضبه ويتمكن من التمييز والنظر فيما يكره ولا يستفزه ما يرد عليه من الحركات
لغضبه حتى يروي وينظر كيف ينتقم وممن ينتقم وعلى أي قدر وكيف يصفح ويغضي عن ذنوب أي ذنب وقد حكي عن الإسكندر الملك أنه
رقي إليه عن بعض أصحابه أنه يعتبه وينتقصه فقال له بعض نصحائه لو أدبته أيها الملك بعقوبة تنهكه فقال له كيف
يكون إنهاكي بعقوبتي له في ثلبي وطلب معايبي لأنه حينئذ أبسط لسانا وأعذر عند الناس وأوقع يوما ببعض أعدائه
من المتغلبين الخارجين عليه وكانت علوجات في المراة عبثا كثيرا فصفح عنه فقال له بعض جلسائه لو كنت أنا أنت
لقتلته فقال الإسكندر فإذا لم أكن أنا أنت فلست قاتله وقد ذكرنا معظم أسباب الغضب ودللنا على معالجتها وحسمها
وهو النوع الأعظم من أمراض النفس وإذا أقدم الإنسان في حسم سببه لم يحس به منه وكان ما يعرض منه سهل العلاج
قريب الزوال لا سيما إذا قابله بما يسكنه ولا يسبب تشيعه ويوقده ويجد روية موضعا لإجالة النظر والفكر في فضيلة الحلم
واستعمال المكافأة إن كان صوابا أو التغافل إن كان جزما والذي يتلو معالجة هذا النوع من أمراض النفس معالجة
الجبن الذي هو الطرف الآخر من ضدها ولما كانت الأضداد تعرف بعضها من بعض كما قد عرفنا الطرف الذي هو حركة
بحركة النفس عنيفة قوية يحدث منها غليان دم القلب شهوة الانتقام فقد عرفنا إذن مقابله أعني الطرف الآخر الذي هو
سكون النفس عند ما يجب أن يتحرك فيه وبطلان شهوة الانتقام وهذا هو سبب الجبن والخور ويتبعه مهانة النفس وسوء
العيش وطمع الأنذال وغيرهم من الأهل والولد وسائر المعاملين وقلة الثبات والصبر في المواطن التي يجب فيها الثبات
وهو أيضا سبب الكسل وحب الراحة اللذين هما سببا كل رذيلة ومن لواحقه الاستهانة بكل أحد والرضا بكل منزلة وضيم
والدخول تحت كل فضيحة في النفس والولد والأهل وسماع كل قبيحة وفاحشة من الشتم والقذف واحتمال كل ظلم من

كل ما له وقلة الانفة مما يانف منه الناس من الامور وعلاج هذه الاسباب والعلل هو تحريك اضدادها وذلك
بان نوقظ النفس التي عرض لها هذا المرض بالهز والتحريك فان الانسان لا يخلو من القوة الغضبية اصلا حتى يعدم البتة ولكن
يخرج لكنها تكون ناقصة عن الواجب بمنزلة النار الخامدة التي فيها بقية تقبل الترويح والنفخ فهي تتحرك لا محالة اذا حركت بما
يلائمها ويثبت ما في طبيعتها من التوقد والتلهب وقد حكي عن بعض المتفلسفين انه كان يتعمد مواطن الخوف فيقف فيها ويحمل
على المخاطرات العظيمة بالتعرض لها ويركب البحر عند اضطرابه ليعود نفسه الثبات في المخاوف ويحرك منها القوة التي تسكن
عند الحاجة الى حركتها ويخرجها عن رذيلة الكسل والهلع ولا يكره لصاحب مثل هذا المرض مخاصمة والتعرض للاهانة ويصبر
من يامن غائلته حتى يقرب من الفضيلة التي هي وسط بين الرذيلتين اعني الشجاعة التي هي صحة النفس الخلقية اذا وجدها
بامر نفسه كيف وقعت ولم يجاوز حد امر التوقع في الجانب الآخر الذي علمناك علاجه ولما كان الخوف الشديد في
غير موضعه من امراض النفس وكان متصلا بهذه القوة وجب ان نذكره ونذكر اسبابه وعلاجه فنقول ان الخوف يعرض من توقع مكروه
وانتظار محذور والتوقع والانتظار انما يكونان للحوادث في الزمان المستقبل وهذه الحوادث ربما كانت عظيمة وربما كا
يسيرة وربما كانت ضرورية وربما كانت ممكنة والامور الممكنة ربما كانت من اسبابنا وربما كان غيرنا سببها فجميع هذه الامور
ليس ينبغي للعاقل ان يخاف منها اما الامور الممكنة فهي بالجملة مترددة بين ان يكون وبين ان لا يكون فليس يجب ان يصمم على انها تكون
فيستشعر الخوف منها فيتعجل مكروه التالم بما عسى بعد لم يقع ولعله لا يقع وقد احسن الشاعر في قوله — وقل للفؤاد ان
نزا بك نزوة من الروع افرخ اكثر الروع باطله ❊ فهذه حال ما كان منها عن سبب من خارج وقد اعلمناك انها ليست
من الواجبات التي لا بد من وقوعها وما كان كذلك فالخوف من مكروه يجب ان يكون على قدر حدوثه وانما يحصل العيش
بطيب النفس بالظن الجميل والامل القوي وترك الفكر في كل ما يمكن ان لا يقع من المكاره واما ما كان سببه اختيارنا
وجنايتنا على انفسنا فينبغي ان نحترس منه بترك الذنوب والجنايات التي نخاف من عواقبها ولا نقدم على امر لا نامن غائلته
فان هذا اصل من يتوقى ان الممكن هو الذي يجوز ان يكون ويجوز ان لا يكون وذلك انه اذا اذنب ذنبا خشي
قدر في نفسه شيئا فلا يزال مرتاعا فيظنه الا انه ياتيه بعينه لا يكون له غاية وكانه يحيل طبيعة الممكن واجبا كما
ان هذا القسم الاول يحيل ايضا الممكن واجبا الا ان هذا ليا من جانب الحمد وخلاصة وذاك يخاف من الجانب الممتنع
اعني بهذا ان الممكن لما كان متوسطا بين الجانب الواجب والجانب الممتنع صار كالشيء الذي له جهتان احدهما

تلي الواجب والاخرى تلي الممتنع ومثال ذلك خط ا ح ب فنقطة ا هي الجانب الواجب نقطة ب هي الجانب
الممتنع وموضع ح هو الممكن وبعده من الجانبين بعد واحد له الى نقطة ا جهة وله الى نقطة ب جهة فاذا صار
مستقبله ماضيا بطل اسم الممكن عنه وحصل اما في جانب الواجب واما في جانب الممتنع وليس ينبغي ما دام ممكنا ان
يحسب لا من هذا الجانب ولا من ذلك الجانب بل يعتقد فيه طبيعة الخاص وانه يمكن ان يصير الى ههنا والى هناك
ولهذا قال الحكيم جنى الامور الممكنة في اعقابها واما الامور الضرورية كالهرم وتوابعه ومن احب طول العمر فقد احب
الهرم واستشعر استشعارا ما لابد منه ومع الهرم يحدث نقصان الحرارة الغريزية والرطوبة الاصلية التابعة لها
وغلبة ضديهما من البرد واليبس وضعف الاعضاء الاصلية كلها ويتبع ذلك قلة الحركة وبطلان النشاط
وضعف آلات الهضم وسقوط آلات الطحن ونقصان القوى المدبرة للحي اعني القوى الجاذبة والدافعة والمسكة
والغاذية وسائر ما يتبعها من مواد الحيوة وليست الامراض والآلام شيئا غير هذه الاشياء ثم يتبع ذلك موت الاحباب
وفقد الاعزة فالمستشعر لها الملتزم بشرائطها في مبدء كونه لا يخاف منها بل ينتظرها ويرجوها ويدعى لها اوقاتا ويرغب الى
الله تعالى فيها عند الصلوات وفي المساجد والمشاهد فهذه جملة الكلام على الخوف المطلق ولما كان اعظم ما يلحق
الانسان منه هو الخوف من الموت وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومه اشد وابلغ من جميع المخاوف وجب ان نقدم الكلام
فيه فنقول ان الخوف من الموت فليس يعرض الا لمن لا يدري ما الموت على الحقيقة او لا يعلم الى اين تصير نفسه او لانه يظن
ان بدنه اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحل ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور وان العالم سيبقى موجودا وليس
هو بموجود فيه كما يظنه من يجهل بقاء النفس وكيفية المعاد او لانه يظن ان للموت الما عظيما غير الم الامراض التي ربما تقدمته
وادت اليه وكانت سبب حلوله او لانه يعتقد عقوبة تحل به بعد الموت او لانه متحير لا يدري على اي شيء يقدم بعد
الموت او لانه يأسف على ما يخلفه من المال والقنيات وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها اما من جهل الموت ولم يدر
ما هو فانا نبين له ان الموت ليس بشيء اكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهي الاعضاء التي مجموعها يسمى بدنا كما يترك
الصانع استعمال آلاته فان النفس جوهر غير جسماني وليست عرضا وانها غير قابلة للفساد وهذا البيان يحتاج فيه الى علوم
يتقدمه وهو مبرهن مشروح على الاستقصاء في موضع الخاص ومن تطلع اليه واحب الوقوف عليه ثم يبعد مرامه
ومن قنع بما ذكرته في صدر هذا الكتاب سكنت نفسه اليه علم ان ذلك الجوهر مفارق لجوهر البدن مباين له بكل المباينة

بذاته وخواصه وافعاله واثاره فاذا فارق البدن كما قلنا وعلى الشريطة التى شرطنا بقى البقاء الذى يخصه ونقى من كدر الطبيعة
وسعد السعادة التامة ولا سبيل الى فنائه وعدمه فان الجوهر لا يفنى من حيث هو جوهر ولا يبطل ذاته وانما يبطل الاعراض والخواص
والنسب والاضافات التى بينه وبين الاجسام باضدادها فاما الجوهر فلا ضد له وكل شئ يفسد فانما فساده من ضده وقد يمكنك
ان تقف على ذلك بسهولة من اوائل المنطق قبل ان تصل الى براهينه وان انت تاملت الجوهر الجسمانى الذى هو اخس من ذلك
الجوهر الكريم واستقريت حاله وجدته غير فان ولا متلاش من حيث هو جوهر وانما يستحيل بعضه الى بعض فيبطل خواص شئ
منه واعراضه فاما الجوهر نفسه فهو باق لا سبيل الى عدمه وبطلانه مثال ذلك الماء فانه يستحيل بخارا او هواء وكذلك
الهواء يستحيل ماء ونارا فيبطل عن الجوهر اعراضه وخواصه واما الجوهر من حيث هو جوهر فانه باق لا سبيل الى عدمه هذا
فى الجوهر الجسمانى القابل للاستحالة والتغير فاما الجوهر الروحانى الذى لا يقبل استحالة ولا تغيرا فى ذاته وانما يقبل كمالاته
وتمامات صورته فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشى فاما من يخاف الموت لانه لا يعلم الى اين تصير او لانه يظن ان بدنه
اذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد فليس يخاف الموت على الحقيقة وانما
يجهل ما ينبغى ان يعلمه فالجهل اذن هو المخوف اذ هو سبب الخوف وهذا الجهل هو الذى حمل الحكماء على طلب العلم والتعب
به وتركوا لاجله لذات النفس وراحات البدن واختاروا عليه النصب والسهر وراوا ان الراحة التى يستراح بها من الجهل
هى الراحة بالحقيقة وان التعب الحقيقى هو تعب الجهل لانه مرض مزمن للنفس والبرء منه خلاص لها وراحة سرمدية ولذة
ابدية فلما تيقن الحكماء ذلك واستبصروا فيه وهجموا على حقيقته ووصلوا الى الروح والراحة به هانت عليهم امور الدنيا
كلها واستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة واللذات الحسية والمطالب التى تؤدى اليها اذ كانت قليلة
الثبات والبقاء سريعة الزوال والفناء كثيرة الهموم اذا وجدت عظيمة الغموم اذا فقدت فاقتصروا منها على المقدار
الضرورى فى الحيوة وتسلوا عن فضول العيش التى فيها ما ذكرت من العيوب وما لم اذكره ولانها مع ذلك بلا نهاية
وذلك ان الانسان اذا بلغ منها الى غاية تاقت نفسه الى غاية اخرى من غير وقوف على حد ولا انتهاء الى امد وهذا
هو الموت ولا ما خاف منه والحرص عليه هو الحرص على الزائل والشغل به هو الشغل بالباطل ولذلك جزم الحكماء
الحكم بان الموت موتان موت ارادى وموت طبيعى وكذلك الحيوة حيوتان حيوة ارادية وحيوة طبيعية وعنوا بالموت الارادى
اماتة الشهوات وترك التعرض لها وعنوا بالموت الطبيعى مفارقة النفس البدن وعنوا بالحيوة الارادية ما يسعى له

له لان الانسان في حيوة الدنيا من المآكل والمشارب والشهوات وبالحيوة الطبيعية بقاء النفس السرمدي في الغبطة
الابدية بما يستفيده من العلوم وبرائته من الجهل ولذلك وصى افلاطن طالب الحكمة بان قال له مت بالارادة تحي
بالطبيعة على ان من خاف الموت الطبيعي للانسان فقد خاف ما ينبغي ان يرجوه وذلك ان هذا الموت هو تمام حد
الانسان لانه حي ناطق مائت فالموت تمامه وكماله وبه يصير الى افقه الاعلى ومن علم ان كل شيء هو مركب من حد وحد
مركب من جنسه وفصله وان جنس الانسان هو الحي وفصلاه هو الناطق المائت علم انه سينحل الى جنسه وفصله لان كل مركب
لا محالة سينحل الى الشيء الذي منه تركب فمن اجهل ممن يخاف تمام ذاته ومن اسوء حالا ممن يظن ان فناءه بحيوته ونقصانه بتمامه
وذلك ان الناقص اذا خاف ان يتم فقد دل من نفسه على غاية الجهل فاذن يجب على العاقل ان يستوحش من النقصان
ويأنس بالتمام ويطلب كل ما يتممه ويكمله ويشرفه ويعلي منزلته ويحل رباطه من الوجه الذي يأمن به الوقوع في الاسر لا
من الوجه الذي يشد وثاقه ويزيده تركيبا وتعقيدا او يثق بين الجوهر الشريف الالهي اذا تخلص من الجوهر الكثيف الجسماني
خلاص نقاء وصفاء لا خلاص مزاج وكدر فقد سعد وعاد الى ملكوته من باريه وفاز بجوار رب العالمين وخالط الارواح
الطيبة من اشكاله واشباهه ونجا من اضداده واغياره ومن ههنا نعلم ان من فارقت نفسه بدنه وهي مشتاقة
اليه مشفقة عليه خائفة من فراقه فهو في غاية الشقاء والبعد من ذاتها وجوهرها سالكة الى ابعد جهاتها من مستقرها
طالبة قرارا من لا قرار له فاما من ظن ان للموت الما عظيما غير الم الامراض التي ربما اتفقت وادت اليه فعلاجه ان نبين
له ان هذا الظن كاذب لان الالم انما يكون للحي والحي هو القابل اثر النفس فاما الجسم الذي ليس فيه اثر النفس فانه
لا يألم ولا يحس فاذن الموت الذي هو مفارقة النفس البدن لا الم له لان البدن انما كان يألم ويحس بالنفس وحصول
اثرها فيه فاذا صار جسما لا اثر فيه للنفس فلا حس له ولا الم فقد تبين ان الموت حال للبدن غير محسوس عنده ولا
مولم فراق ما به كان يحس ويتألم فاما من خاف الموت لاجل العقاب الذي يوعد بعده فينبغي ان نبين له انه ليس يخاف
الموت بل يخاف العقاب والعقاب انما يكون على شيء باق بعد البدن الداثر ومن اعترف بشيء باق منه بعد البدن فهو لا محالة
سيعترف بذنوب له وافعال سيئة يستحق عليها العقاب وهو مع ذلك معترف بحاكم عدل يعاقب على السيئات لا على الحسنات
فهو اذن خائف من ذنوبه لا من الموت ومن خاف عقوبة على ذنب فالواجب عليه ان يحذر ذلك الذنب ويجتنبه وقد بينا فيما
تقدم ان الافعال الردية التي تسمى ذنوبا انما تصدر عن هيئات ردية والهيئات الردية في النفس هي الرذائل التي احصيناها

وعرفنا ان اضداده هي من الفضائل فاما الخائف من الموت على هذه الطريقة ومن هذه الجهة فهو جاهل بما ينبغي ان يخاف
منه وخائف مما لا اثر له ولا خوف منه وعلاج الجهل العلم ومن علم فقد وثق ومن وثق فقد عرف سبيل السعادة فهو يسلكها ومن سلك
طريقا مستقيما الى غرض افضى اليه لا محالة وهذه الثقة التي تكون بالعلم هي اليقين وهي حال المستبصر في دينه المتمسك
بحكمته وقد عرفت مرتبته ومقامه فيما سلف من القول فاما من زعم انه ليس يخاف وانما يحزن على ما يخلفه من اهل
وولد ومال ونشب ويأسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها فينبغي ان نبين له ان الحزن يجلب الما وغما
على ما لا يجدي الحزن عليه طائلا وسنذكر علاجه في باب مفرد له خاص لانا في هذا الباب انما نذكر علاج الخوف فقط
وقد اثبتنا منه على ما فيه مقنع وكفاية لمن نظر فيه بيانا واضحا فنقول ان الانسان من جملة الامور الكائنة فقد تبين في
الآراء الفلسفية ان كل كائن فاسد لا محالة فمن احب ان لا يفسد فقد احب ان لا يكون ومن احب ان لا يكون فقد احب
فساد ذاته فكانه يحب ان يفسد ويحب ان لا يفسد ويحب ان يكون ويحب ان لا يكون وهذا محال لا يخطر ببال عاقل وايضا فانه لو
لم يمت اسلافنا وآباؤنا لم ينته الوجود الينا ولو جاز ان يبقى الانسان لبقي من تقدمنا ولو بقي الناس على ما هم عليه من
التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الارض وانت تتبين ذلك مما اقول افرض ان رجلا واحدا ممن كان منذ اربعمائة سنة
موجودا الآن وليكن من مشاهير الناس حتى يمكن ان يحصل اولاده موجودين معروفين مثل علي بن ابي طالب عليه السلام
مثلا وولد له اولاد ولاولاده اولاد وبقوا كذلك يتناسلون ولا يموت منهم احد كم كان مقدار من يجتمع منهم في وقتنا
هذا فانك ستجدهم اكثر من عشرة آلاف الف رجل وذلك ان من بقيتهم الآن مع ما درج فيهم من الموت والقتل الذريع اكثر من
مائة الف انسان فاحسب بكل من كان في ذلك العصر من الناس في بسيط الارض شرقا وغربا مثل هذا الحساب فافهم اذا
تضاعفوا هذا التضاعف لم نضبطهم لكثرة ولم نحصهم عددا ثم اعرف بسيط الارض فانها محدودة معروفة لتعلم ان الارض
حينئذ لا تسعهم قياما ومتراصين فكيف قعودا ومتصرفين ولا يبقى موضع عمارة يفضل عنهم ولا مكان لزراعة ولا مسير لاحد
ولا حركة فضلا عن غيرها وهذا في مدة يسيرة من الزمان فكيف اذا امتد الزمان وتضاعف الناس على هذه النسبة فهذه
حال من يتمنى الحياة الابدية ويكره الموت ويظن ان ذلك ممكن او مطموع فيه من الجهل والغباوة فان الحكمة البالغة
والعدل المبسوط بالتدبير الالهي هو الصواب الذي لا معدل عنه ولا محيص منه وهو غاية الجود الذي لا يتصور اوفى منه
فتمني الطالب للتخليد والغضب بفقد الخائف منه هو الخائف من عدل الباري وحكمته بل هو الخائف من جوده وعطائه

[illegible]

علاج الحزن [illegible]

[illegible]

محزون والمحزون شقي ومن استشعر بالعادة الجميلة لن يحزن لكل ما يفقده ولا يحزن لشيء يفوته لم يزل مسرورا

فمن ظان ان هذا الاستشعار لا يتم او لا ينتفع به فلينظر الى استشعار الناس في مطالبهم ومعايشهم واختلافهم في
حسب قوة الاستشعار فيهم بحسب التربية ظاهرة فرح المتعيشين بمعايشهم على تفاوتها وسرورهم بالحرف المختلفة

بينها وليتصفح ذلك في طبقة طبقة من الدهماء فانه لا يخفى عليه فرح التاجر بتجارته والجندي بشجاعته
والمقامر بقماره والشاطر بشطارته حتى يظن كل واحد منهم ان المغبون من عدم تلك الحالة حتى فقد بهجتها والمحروم من غبي
عنها وحرم لذتها وليس ذلك الا بقوة استشعار كل طائفة لحسن مذهبه ولزومه اياه بالعادة الطويلة اذا الزم
طالب الفضيلة مذهبه وقوي استشعاره بحسن رأيه وطالت عادته كان اولى بالسرور من هذه الطبقات
الذين يخبطون في جهالتهم كان اخطأوا بالنعيم المقيم لانه محق وهم مبطلون وهو متيقن وهم ظانون ثم هو صحيح وهم
مرضى وهو سعيد وهم اشقياء ... ثم قال الله عز وجل الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون وقال الكندي في كتاب دفع الاحزان ما يدل دلالة واضحة على ان الحزن شيء يجتلبه الانسان
ويضعه وضعا وليس هو من الاشياء الطبيعية ان من فقد ملكا او طلب مرادا فلم يجده ولحقه حزن ثم نظر في حزنه
ذلك نظرا حكيما وعرف ان اسباب حزنه هي اسباب غير ضرورية وان كثيرا من الناس ليس لهم تلك الملاك
وهم غير محزونين بل فرحين مغتبطين علم علما لا ريب فيه ان الحزن ليس بضروري ولا بطبيعي وان من حزن من
الناس وجلب لنفسه هذا العارض فلا محالة سيسلو ويعود الى حاله الطبيعي فقد شاهدنا قوما فقدوا من الاولاد
والاعزة والاصدقاء والاحبة من اشتد حزنهم عليهم ثم لا يلبثون ان يعودوا الى حال المسرة والضحك والغبطة و
الى حال من لم يحزن قط وكذلك حال من ... الى الضياع وجميع ما يقتنيه الانسان مما يعز عليه
فانه لا محالة يتسلى ويزول حزنه ويعود الى النشاط اعتبارا فمضى العاقل اذا نظر الى احوال الناس في الحزن واسبابه
انه ليس يختص من بينهم بمصيبة غريبة ولا يتميز عنهم بمحنة بليغة وان ما اتاه من مصيبة السلوة وان الحزن هو مرض
يجري مجرى سائر الادواء فلم يضع لنفسه عارا ضاريا ولم يكتسب مرضا وضعيفا عنه محتلبا عن طبع وينبغي ان يتذكر
ذكره من حال من يحيى بجيئه على من لبسها وتمتع بها ثم ليردها الى من لبسها غيره ويتمتع بها سواء فاطمعته
ان انها موهوبة له هبة ابدية فلما احدث منه حزنا باسترجاعها في هذه الحال من عدم عقله وطمع

بعد حال الحسود لانه يحب ان يستبد بالخيرات من غير مشاركة الناس والحسد اقبح الامراض واشنع الشر

حتى قالت الحكماء من احب ان ينال اصدقاؤه الشر فهو محب للشر ومحب الشر شرير وشر من هذا من احب الشر لمن

ليس له بعدو واسوأ حالا من هذا من احب ان لا ينال اصدقاؤه خيرا ومن احب ان يحرم صديقه الخير فقد

احب له الشر ويجب من هذه الردآءات الحزن على ما فاتنا وله الناس من الخيرات وان يحسدهم على ما يصلون

اليه منها وسواء كانت هذه الخيرات من قنياتنا وما ملكناه او مما لم نقتنه ولم نملكه لان الجميع مشترك للناس

وهي ودايع الله عز وجل عند خلقه وله ان يرتجع العارية متى شاء على يد من شاء ولا سيئة علينا ولا عار اذا رددنا الودايع وانما

العار والسيئة ان نحزن اذا ارتجع منا شيء منها وهو معنى ذلك كفر النعمة لان اقل ما يجب من الشكر للمعير ان يرد عليه عاريته

على طيب نفس ويسرع الى اجابته اذا استردها لا سيما اذا ترك المعير علينا افضل ما اعارنا وارتجع اخسه قال وابقى

بالافضل الاجل ما لا يصل اليه يد ولا يشركنا فيه احد اعني النفس والعقل والفضايل الموهوبة لنا من الله ولا ترتجع ولا

تسترد ونقول له الاقل الاخس لما اقتضاه العقل فقد ابقى الاكثر الافضل وانه لو كان واجبا ان نحزن بكل ما

قد يفقد لوجب ان نكون ابدا محزونين فينبغي للعاقل ان لا يفكر في الاشياء الضارة المولمة وان يقلل من القنية

ما استطاع اذ كان فقدها سببا للاحزان فقد حكي عن سقراط انه سئل عن سبب نشاطه

وقلة حزنه فقال لاني لا اقتني ما اذا فقدته حزنت عليه واذ قد ذكرنا اجناس الامراض العارضة

للنفس واشرنا الى علاجاتها ودللنا على اشفيتها فليس يعسر على العاقل

الحصيف ... ان يستخرج من هذا الكتاب ... علاجا لها من ... ما كان من الامراض

التي تحت هذه الاجناس من انواعها واشخاصها ويداويها

بمقابلة الاضداد من العلاجات والرغبة الى الله عز وجل بعد ذلك في

التوفيق فان التوفيق مقرون بالاجتهاد وليس يتم احدهما

الا بالاخر والحمد لله رب العالمين والصلوة

على نبيه محمد واله

الطاهرين

خاتمة الطبع

الحمد لله الذي هذب الانسان بتهذيب الاخلاق وطهره تطهيرا + وفضله على سائر المخلوقات بالفضائل العلمية ووقره توقيرا
والصلوة والسلام على رسوله محمد الذي شرف العالم بالايمان ونوره تنويرا + وعلى آله واصحابه الذين هم جمعوا القرآن
وفسروه تفسيرا + **اما بعد** فيقول العبد المفتاق الى رحمة الله القوي المدعو به **محمد معشوق علي** عفا الله عن شرك نفسي
وغيي + ان الرسالة المسماة **بكتاب الطهارة** في تهذيب الاخلاق للحكيم الكامل من المتأخرين + وهو **ابي علي ابن
يعقوب** مسكويه الخازن الرازي + لما كانت مشتملة على فوائد لطيفة + وقواعد شريفة + ومطالب عجيبة + ودقائق
غريبة + وصارت لبعض همم الطالبين مستورة تحت الاستار + حتى لم توجد الا نسخة واحدة ناقصة في هذه الامصار
صرف عنان عناية الصاحب المكرم + والحاكم المعظم + المنصف المنعم + العادل الاكرم + السخي الاعظم + كپتان
غلي جرجس صاحب بهادر دامت دولته قائم مقام صاحب رزيدنت بهادر بيت السلطنت لكنو + لازال شموس
اقباله طالعة + الى ان يطبعها غاية الاظهار + وينتشرها نهاية الانتشار + ويشتهرها كالشمس في نصف النهار
والبدر في ليالي الاقمار + فامر بطبعها في المطبعة العلوية + فكلفني جناب المطبع بتصحيحه و
تنقيحه + وحل لغاته وتوضيحه + فتم آن حد اقبه بها وقد وقع الفراغ عن طبع ذلك الكتاب
بتاريخ الثالث عشر من شهر صفر المظفر سنة الف ومائتين واحدى وسبعين
من الهجرة المقدسة النبوية + على صاحبها الصلوة
والتحية + فالحمد لله اولا وآخرا +
فقط + + + +
+ + +
+

١٢٧١ه